مكاريوس عطيتو

صندوق فرعون

رواية

حقوق الملكية الفكرية

1560 قبل الميلاد ..

وسَط الحاشية , جلس على عرشه بقامته القوية وعضلاته المفتولة , وشعره الأسود المُجعد , استقبل الرسول الغازي , كان الملك الذي عبر لتوه عقده الرابع من العمر يرث ميراثًا ثقيلًا من الفراعنة السابقين , ففي الشمال عدو مُتبجِح , يناور ويناوش ويرغب في الاستيلاء على ما تبقى من الدولة التي نهشها ضِعف حكامها .

كان الفرعون العظيم مجتمعًا بقادته , يناقشهم في الوضع المتردي للبلاد , ويرغب في دفع العدوان حيث دخل عليه ذلك الرسول .

كان الرسول هو أحد مبعوثي حاكم الهكسوس " أبوفيس " , جاء حاملًا الرسالة من حاكمه المُغتصِب .

وقف الرسول أمامه وبدأ بقراءة رسالة سيده .

(إنَ أصوات أفراس النهر في طيبة تُزعج منامي في الشمال , ربما عليكَ القيام بإسكاتهم .)

إبتسم فرعون لما سَمعه وبكرمٍ حاتمي أمر بإكرام رسول الغازي وتقديم سُبل الراحة إليه , ثم طلب منه العودة إلى سيده دون رد .

- ما لدينا من خَيارات ليس بكثير ! , إما الحرب او الاستسلام وتسليم البلاد .

نهض فرعون وهو يفكر في رسالة حاكم الهكسوس التي كان بها لؤمًا شديدًا , بهذه الرسالة أصبح يعلَم مدى تطور الجيش المصري إلى قوة برمائية , بل وإختار تشبيه الجيش بأفراس النهر لأن فرس النهر هو حيوان بر مائي .

وسط تفكيره وحيرته في الاختيار بين الحرب او تسليم البلاد , في الناحية الأخرى من القصر كانت تُخطط له مكيده , قد تزيحه من العرش إلى الأبد .

(1)

شقة سيدي بشر

في شتاء 2010 م كنت قد وصلت للسنة الدراسية الرابعة والأخيرة بكلية أداب بجامعة الإسكندرية , بدأت في البحث كالمعتاد انا وصديقي عمر عن سَكَن للطلاب المغتربين , فبعد خوض تجربة السكن الجامعي في الشهر الأول من السنة الدراسية الأولي بالجامعة قررت عدم طرح الموضوع للنقاش مرة أخري , كنا نبحث في جميع الأماكن في الإسكندرية , حتي اننا قد كلفنا بعض السماسرة للبحث عن شقة سكنية , بالطبع يوجد الكثير منها , ولكن الأهم أن يكون السعر مناسب لنا خصوصًا وأننا مغتربون .

تذكرت والدي ونصائحه لي , فقد توفاه الله منذ مدة ليست ببعيدة , كان والدي من أشهر الشخصيات في الأقصر وعمل بمجال السياحة لسنوات طويلة , أريد أن أرسل إليه نجاحي كهدية له عن تعبه في تربيتي . أعطاني انا وإخوتي قسطًا وفيرًا من الحنان والحب , ربما سيكفيني لنهاية عمري , رغم ذلك كنت أفتقده بشده وكنت أفتقد حديثنا سويًا على الهاتف , كلما ضللت طريقي كان هو مرشدي الأول . يجب أن ينال التقدير الذي يستحقه عن طريق نجاحي .

بداخلي كنت لا أعلم , هل بالفعل تقبلت فقدانه ؟ ام أنني ألعب مع مشاعري التي لابد أن أختبرها يومًا ما .

تووتت توتت .. تووووت تووتت

نعم استيقظت على صوت صفارة القطار الذي أعلن وصولنا إلى محطتنا الأخيرة أخيرًا .. الاسكندرية ، متيمًا بها نعم ، ياليتني أعيش هنا للأبد ، نزلنا من القطار بينما نظرت يميني ويساري حتى أتبين بوابة الخروج من المحطة واذا بي يصطدم رجل عجوز وهو يمسك بعربة نقل الحقائب وهو يعتذر لي .

- لا مؤاخذة يا بيه ، حمدلله ع السلامة ونورتوا اسكندرية بلد العجايب .

ابتسمت له ووضعنا أنا وعمر حقائبنا على العربة واتجهنا لبوابة الخروج .

قررنا ان نبدأ في البحث من يومنا الأول هنا ، وبعد أن أنهكنا التعب أنا وصديقي عمر في البحث , مررنا علي أحد السوبر ماركت المنتشر في الطرقات ولكنه كان أقرب إلي دُكان صغير . وقفنا لنشتري فطورًا , فالجوع والعطش كانا قد تملكا منا وبالأخص عمر فقال :

- خالد تعالي نشوف أى حاجه ناكلها الأول, انا هموت من الجوع , بعدين ندور علي الشقة انا تعبت خلاص .

لكننا لاحظنا خلو الدُكان من أي بضاعة , فوقفنا أمامه وأجبته في يأس :

- أنا تعبت فعلًا , بقالنا كتير اوي بندور علي شقة , مش معقول مفيش واحدة مناسبة !

.

قولت هذه العبارة ويبدو أن بائع الدُكان سمع حديثنا فخرج منه وهو يتجه لنا , رجل متوسط القامة , نحيف حد الهزال , نظراته حادة , إبتسامة غير حاضرة , جاء إلينا مستفسرًا.

- إنتم بتدوروا علي سكن يا رجالة ؟ , انا غصب عني سامعكم , صوتكم عالي شوية .

لم يهتم عمر بسؤاله وكان قد غلبه العطش .

- مفيش عندك حتي أى حاجه نتشرب ؟
- أصلي قافل من فترة طويلة معلش .
- لا أعرف لماذا كان بداخلي شعور أن هذا الرجل سيساعدنا فقصصت عليه بإيجاز , وعرفنا أنه علي معرفة بفتاة تمتلك شقة ويُريد أن يؤجرها لمن يؤتمن , وإنتهي حديثنا بعرضه توصيلنا للفتاة .
- تعالي معايا أوصلك بس مش هقدر أسيب المحل لوحده .

- تقدر توصفلنا المكان يا حاج ؟
- الطريق يتوه , ممكن صاحبك يقف هنا 10 دقايق بس اوصلك وأرجعك تاني ؟ المكان مش بعيد .
- معلش يا عمر استني هنا وأنا مش هتأخر .
- ماشي بس خد بالك من نفسك .
- حاضر .

اصطحبني البائع إلى مكان الفتاة دون أن يثرثر كثيرًا في الطريق , عرفته بإسمي وسألته عن إسمه فأجاب مبتسمًا للمرة الأولي " فايز دانيال " .

كان المكان الذي تقبع به الفتاة قريبًا من دُكان عم فايز , رأيت فتاة تخرج من إحدي الشقق

الموجودة بالدور الأرضي , كان واضحًا أنها تغادر فوقف عم فايز علي السلم وقدمني إليها .

- صباح الخير يا أنسة ليلي , الأستاذ خالد كان عايز الشقة هو وأصحابه .

علي ما يبدو أنني كنت من ضمن قائمة طويلة كانت تريد هذه الشقة , هزت رأسها في إشارة لتحيتي بإبتسامة هادئة أكاد أجزم أنني ظللت بضع ثواني سارحًا بجمالها , إصطحبتنا ليلي إلي مكان الشقة , لا أعلم لماذا أحسست براحة شديدة فور رؤيتها , فتاة عشرينية عمرها يقترب من عمري , عيناها بهما حزن او شيئًا مثل ذلك , شعرها أسود قاطم جميل خالي من أي ألوان ,

ترتدي قميص وبنطال بسيطان , يبدو أنها لا تحب التكلف أو البهرجة في مظهرها بل تحب ان تخرج بطبيعتها الملائكية , مشيت معهما حتي أصبحنا في منطقة سيدي بشر المشهورة , كنت قد سمعت أنها سميت بهذا الإسم نسبةً إلى الشيخ بشر بن حسين الذي عاش ودُفن بهذه المنطقة , الشيخ بشر من ضمن الشيوخ الذين أتوا من المغرب والأندلس في أوخر القرن الخامس او القرن السادس الهجري للإسكندرية , كان حي من الأحياء النظيفة جدًا , أغلب سكانه من الطبقة المتوسطة التي اوشكت علي الانقراض , كان كل شئ متاح حولنا من سِلع وخدمات , توقفت ليلي وأشارت إلي المبنى , كان المبني ثلاثة طوابق , عتيق وقديم بلا حارس

, البوابة الحديدية طُليت باللون الأسود , إلتفت إلى ليلي وقالت .

- هو ده المكان يا أستاذ خالد , الشقة هتعجبك جدًا انا واثقة من كدة , للأسف مش معايا المفتاح حاليًا , أكيد مع والدي , تقدر تطلع تخبط وتقوله أنك شوفت اليافطة اللي على أول الشارع بتاعة الشقة وهو هيفرجك عليها , على فكرة الشقة الشقة أربع أوض عشان أنا فهمت أنك مش لوحدك .
- إنتي مش هتطلعي معايا ؟

- للأسف أنا على خلاف الفترة دي مع والدي , الأفضل تقوله انك شوفت اليافطة على أول الشارع .
- وأنت يا عم فايز ؟
- سامحني يابني انا علاقتي بيه ضعيفة , أنا بساعد بنته بس .

أومأت برأسي متفهمًا ثم دخلت المبني إلي الدور الأول حيث يسكن رجل على أعتاب عقده السادس من عمره , كان يظهر علي وجهه الحزن , كان ينظر لي نظرات غريبة وكأن عينيه ماسحة الكترونية , من رأسي وحتي آخر قدمي . استأذنته ليُحضر مفتاح الشقة المذكورة بعد أن عرفته

بنفسي وطلبت منه إيجار الشقة , غاب للحظات ثم عاد لنصعد سويًا إلي الدور الثالث حيث موضع الشقة , فتح الباب ودعاني لأرى المكان .

غرفة الاستقبال طُليت باللون الازرق وتتكون من جزئين , الجزء الأول وهو الأقرب إلي الباب به كنبة كبيرة واخري صغيرة , صالون قديم جهة اليمين , تصحبهم مرآة كبيرة , أما الجزء الثاني فهو الأقرب للطرقة يتكون من منضدة متوسطة الحجم تحمل تليفزيونًا متوسط العُمر , رأيت أن هذه المنضدة ستصلح للمذاكرة كذلك , يقع المطبخ على الجانب الأيمن من غرفة الاستقبال , به ثلاجة متوسطة على الجانب الأيسر وبجانبها الحوض , في

الجهة اليمنى مطبخ خشبي كامل به جميع أجهزة المطبخ لا ينقصه سوى إحضار الطعام فقط , تقع الطرقة تقريباً بجانبه بحيث يسهل على من في الغرف أن يسمع من في المطبخ إذا تحدث بصوت عالٍ , الطرقة بها ثلاث غرف علي اليمين متوسطة الحجم أما الغرفة الرابعة والأخيرة مُغلقة , تقابلك في آخر الطرقة , يقع الحمام على يسار الغرفة الرابعة . جميع الغرف مطلية باللون الأبيض , أرضية الشقة موحدة بسيراميك متوسط الذوق لا بأس به , الحمام والمطبخ لا علاقة لهما بذوق الشقة العام , مع ذلك كان لدي شعور غريب مختلط بإنجذاب إلي هذا المكان . فصدقت

شعوري , ويا ليتني ما فعلت , نظر إلي الرجل في ثقة وقال :

- ها , إيه رأيك في الشقة ؟
- كويسة , أربع أوض كويسة علينا .
- العفش كله محدش لسة إستعمله , يعني تقدر تعتبره جديد , هو موضته قدمت , لكن يمشي معاكوا وكمان نضيف ,, المطبخ كمان أدواته موجودة فيه يعني مش محتاجين بس غير الأكل اللي هتجيبوه معاكم . الأهم تحافظوا عليها بس .

- لا من ناحية نضيفة فهي فعلًا نضيفة يا عمي ومن ناحية نحافظ عليها فمتقلقش خالص .
- أنتم كام واحد يابني ؟
- اتنين دلوقتي وفي اتنين هييجوا بعدنا إنشاءالله .
- يبقي معلش في اتنين هيشتركوا في أوضة لأني مش بفتح الأوضة الرابعة , فيها حاجات غالية وكراكيب , قدامكم ثلاث أوض وزعوها بمعرفتكم , فيه مشكلة ؟

رأيت المكان يستحق وبالأخص سعره مناسب لنا جميعًا وفي منطقة جيدة , لا أعتقد أن

ثلاث غرف ستكون مشكلة مع باقي الشباب .

- خلاص مفيش مشكلة يا عمي , دي فلوس عربون لحد ما نيجي .
- تمام , انا هسافر عُمرة وبعدين راجع علي قرايبي في القاهرة , لما أرجع هاخد الباقي , وخليك فاكر إني أمنتك أمانه , انت المسئول قدامي عن الحاجات اللي في الشقة كلها والعفش والأجهزة الكهربائية .
- متخافش يا عمي , هنحافظ عليها خليك متطمن .

إتفقنا وودعت الحاج كمال وغادرت , عند مدخل العمارة كان لا يزال عم فايز ينتظرني , أبلغني ان ليلي اضطرت للذهاب لقضاء بعض أمورها .

- متشكر جدًا يا عم فايز , تعبتك معايا .
- علي إيه يابني ده إنت زي ولادي .

أردت أن أعطيه نقودًا كما تعودت مع أى سمسار , لكنه إبتسم ورفض وقال أن ما فعله معي لأنه كان يريد أن يساعد شابًا في سن أبنائه , اصطحبني لأقرب مكان يتواجد به عمر ليغلق دُكانه ويذهب لقضاء بعض أموره . ما إن وصلت حتي بشرت عمر , إتفقنا علي ميعاد الإنتقال

للأسكندرية أخيرًا لمتابعة المحاضرات في بداية العام الدراسي.

إنتقلنا ومرت الأشهر الاولي من دراسة السنة الأخيرة بالجامعة سريعة جدًا وهادئة , وها أنا في اواخر مدة إقامتي في هذا البيت الذي يملكه العم كمال لأننا أول من استأجرنا الشقة وأول من يكسر القاعدة على حسب كلامه فنحن فقط من نشاركه السكن بينما الشقة الموجودة بالدور الثاني لازالت غير جاهزة أبدًا ولم تنتهي الأعمال البنائية بها .

رأيت ليلي بعدها مرتين او ثلاث مرات علي سُلم العمارة فحيتني , بات واضحًا ان خلافها مع والدها

إنتهي , ذات مرة رأيتها مسرعةً باتجاه مدخل العمارة فسألتني عن احوالي .

- إزيك يا خالد ؟ الشقة عجبتكم ؟
- اه الحمدلله .
- احسن من باقي السكنات , كل واحد في أوضة أكيد حلو .
- دلوقتي لسة احنا لسة اتنين بس , كلل واحد في أوضة , لكن في اتنين جايين وهيشتركوا في اوضة واحده , مفيش مشكلة عادي .
- لو الشقة ضاقت عليكم إفتحوا الأوضة الرابعة , هي فيها شوية كراكيب حطوها علي

جنب وخلو بالكم عليها لأن بابا بيخاف علي حاجته جدًا .

- حاضر , لو اضطررنا هنفتحها أكيد .
- طيب , أشوفك علي خير , سلام يا خالد .
- سلام .

كان العم كمال طيبًا وودودًا للغاية معنا قبل أن يسافر للعُمرة , كان يرسل لنا طعامًا عندما يرانا متعبين من المذاكرة ليلًا , أعطي لكل واحد منا مفتاحًا لغلق البوابة الحديدية ليلًا لزيادة الامان . أول غرفة على يمين الطرقة يسكنها عمر , شاب صعيدي من محافظة سوهاج , يدرس بالسنة الثالثة لكلية حقوق , متوسط القامة , ممتلئ القوام , مرح

ومتفائل , ويضيف البهجة في كثير من المواقف , هذه الغرفة تُعد أوسع غرفة بالشقة , تتكون من سريرين كبيرين ودولاب كبير الحجم موضوع بين السريرين بعناية , بها شباك صغير يطل على الشارع .

الغرفة الثانية كانت لي لانها ثاني أوسع غرفة , قررت منذ البداية ان أسكن بغرفة خاصة بي وحدي , أحب الإحتفاظ بخصوصيتي , لا أحب ان يعلم أحد شيئًا عن حياتي الخاصة مهما بلغت درجة تقاربنا . كثير من الأمور الخاصة جدًا وان كنت أعلن عن بعضها كيفما أريد , لكنني أفضل أن احتفظ بتفاصيل حياتي وكأنها سر

غامض . هذه هي راحتي . تتكون غرفتي من سرير متوسط الحجم وبجانبه دولاب صغير الحجم , الغرفة بها شباك يطل مباشرة على الشارع , ان يطل شباك غرفتك على الشارع الرئيسي ومن الدور الثالث فأنت ترى بحر الاسكندرية الجميل بوضوح . أصوات السيارات تجلب الونس والدفئ ولكنها مزعجة عندما تريد القليل من الهدوء خاصة اثناء الإمتحانات .

أتذكر اول يوم لي انا وعمر فى السكن ذهبنا إلي محل وصلات الدش لعمل وصلة لنا , لكن عندما علم أين نسكن رفض بشدة .

- إنتوا ساكنين عند حنفي الجحش ؟ , معلش مفيش وصلات .
- ليه يا عمنا ؟ هو مين الجحش ده ؟ إحنا ساكنين عند الحاج كمال مختار .
- إنتوا منين يا بشوات ؟
- إحنا من الصعيد بس ساكنين هنا عشان الجامعة .
- طيب هعملكم الوصلة بس مش عاوز وجع دماغ , بعيد عنك يا أستاذ حَنفي الجحش ده راجل بخيل , مش عايز وجع دماغ في الفلوس الله يخليكم .
- هنديك اللي انت عايزو ياعم بس اعملنا الوصلة .

- حاضر يا رجالة .

أحضرنا بعض الطعام وذهبنا إلي البيت وفي إغفاءة قصيرة من تعب السفر , سمعنا صوتًا مدويًا لامرأة تهين زوجها بأقبح الألفاظ , من هي؟ إنها زوجة شقيق " المحش" أكبر بلطجي وتاجر مخدرات في هذه المنطقة , متوسط القامة الذي لن تتخيل أنه المعلم الذي يفعل كل هذه الأفعال, إنه حقًا حي محترم كما رشحه صاحب الدُكان , لكني تجاهلت هذا الاحترام , لسعادتي بما رأيته من حب ورعاية أصدقائي المشاركين لي في السكن وحياتهم معي , عندما تتقاسم الحياة في الغربة بعيدًا عن بيتك وأهلك , فلابد أن تمنح

نفسك شيئًا من الأمان وبعض الثقة فيمن حولك, لا يأتي هذا الاحساس عبثًا وإنما من تجارب ومواقف مختلفة لتثبت معدن الأشخاص كما كان يقول أبي رحمه الله .

إستقبلنا الصديقان قُرب فترة الامتحانات فقد انضما الينا " مؤمن " و " نور " في الغرفة الثالثة متشاركين إياها .

" نور " من المنيا , متوسط القامة , أسمر البشرة , مزدوج الشخصية مع أمور لا تحتمل الازدواجية . لهجته الصعيدية الجميلة التي يتحدث بها معظم الوقت , إلا في وجود أى كائن مؤنث , يتلوي لسانه في ثوانٍ معدودة بلهجة اخرى مصطنعة .

أما " مؤمن " فهو من إسنا , أسمر البشرة , طويل , عيناه واسعتان تنظران لك في حذر , يدرس بكلية طب الأسنان , يتميز بخفة الدم ورجاحة العقل , بعيد كل البعد عن التهور في تصرفاته , تظنه بخيل ولكنه يُقدر قيمة النقود ويحرص على صرفها في المكان الصحيح .

ظلت الغرفة الرابعة مغلقة ولم نهتم بذلك لأننا لم نحتاجها . يسود أغلب اوقاتنا المرح والسلام والود كالأخوات بالفعل .

مرت الأيام حتي بدأ مؤمن يشكو من نور في أيام متلاحقة متقاربة , وبات التوتر زائرًا دائمًا ,يظل نور مستيقظ طوال الليل يقرأ او يتحادث في

الهاتف وهو ما يضايق مؤمن أثناء نومِه , كان يشكو فقدان السكينة والنوم العميق .

أراد مؤمن الانتقال إلي غرفة عمر لكن الأخير اعتذر بلطف , حيث أنه هو ايضًا يستقبل العديد من المكالمات الخاصة وأنه من الصعب ان يجيب عليها خارج غرفته .

بعدها جاء لي مؤمن آملًا أن اوافق علي طلبه ولكني اعتذرت انا ايضًا بلطف , ثم خطرت لي فكرة تتيح حل مشكلة مؤمن , تذكرت ما قالته لي " ليلي " على الغرفة الرابعة .

كنا قد تجمعنا على الغداء فبدأت حديثي .

- بصوا يا شباب , كل واحد فينا ليه طقوسه الخاصة , لازم نفض أى خلاف مهما كان صغير عشان ميكبرش عشان نحافظ علي الود اللي بيننا , مؤمن متضايق من نور عشان المواضيع اللي كلنا عارفينها .

نظر نور في عدم اكتراث .

- انا مش شايف انها خلافات كبيرة يعني , المفروض نقدر نحلها يا مؤمن !

كان مؤمن ينظر له بغضب بعد أن استفزه رد نور.

- لا يا نور , انت مستفز , أنا ياما قولتلك اني عاوز أنام وانت مبتحترمش كلامي , بصراحة ده عدم احترام ليا .

قاطع عمر كلام مؤمن محاولًا تهدئته .

- بلاش نكبر المواضيع يا جماعة , ده شيطان ودخل ما بنا .

فور انتهاء هذه العبارة انقطعت الكهرباء بالكامل عن الشقة وساد الهدوء تمامًا , كنت أجلس وبجانبي عمر الذي امسك بذراعي لخوفه الشديد من الظلام , بينما كان يجلس مؤمن وهو يتمتم بكلام غير مفهوم ثم قطع الصمت صوت نور وهو يقول .

- وقتها كمان دلوقتي نتقطع الكهرباء , حد يقوم يولع شمعة بدل الضلمة ديه .

لم يتحرك أحد منا ولا نعلم لماذا , ليتمتم مؤمن بكلمات أخرى ويبدو أنه يسب في شيئًا ما , نهض وهو يتجه للمطبخ لإحضار الشمع , ولكن سرعان ما مرت دقيقة وإثنان بل عشر دقائق كاملة ولم يظهر صوت مؤمن ونحن ننادي عليه , بدأ التوتر يزداد بداخلنا , بدأت أنادي عليه مرة أخري ولكن بداخلي كان هناك شعور بالخوف لا أعلم لماذا ولكني تشجعت ونهضت , ليأتي صور عمر بجانبي .

- أنا بدأت أقلق يا خالد , هو مش بيرد ليه!.

كنت في طريقي للرد ولكن قاطعني صوت إنكسار شيئًا زجاجيًا خمنت أنها المزهرية الموجودة بجانب الصالون , تحركت بحذر شديد وانا لا أزال أنادي علي مؤمن ولكن لازال الرد غير موجود , اقتربت من المطبخ ولكني سرعان ما لاحظت شيئًا غريبًا ,كنت قد تركت نافذة غرفتي مفتوحة مما يسمح لي برؤية الشارع , اقتربت بهدوء من النافذه ثم ظهر علي وجهي التعجب , الكهرباء منقطعة فقط عن الشقة التي نسكن بها بينما الكهرباء تعمل في جميع أنحاء المنطقة ! .

عدت للخلف ولكن سرعان ما اصطدمت بجسد شخص خلفي , استدرت لأراه , كان مؤمن وهو يوجه رأسه لأسفل , قولت له بإطمئنان .

- الحمدلله , مبتردش ليه كنت يا عم ؟ , اتخضينا عليك ! .

ولكنه كان لا يجيب , بدأ القلق يساورني ثم عدت لأسأله.

- مؤمن انت كويس ؟

لم يجيب ولكنه رفع رأسه ونظر لي , عيناه كانت بيضاء تمامًا , الأضواء الخارجية منعكسة

علي وجهه , تجعله ظاهراً بوضوح , بدأ يقترب مني وانا اعود للخلف بينما اصبح الشباك خلفي مباشرًة فقُلت له.

- أعوذ بالله , سلامًا قولًا من ربً رحيم , يا عمرر! , الحقني يا عمر ! .

في هذه الأثناء خرج صوت متحشرج من مؤمن , ليس بصوته ولكن بصوت شخصًا آخر .

- اكتشف السر يا خالد , او مش هتعرفوا تخرجوا من الشقة ديه لآخر حياتكم .
- سر ايه ! , يا مؤمن فوق .
- السر ! , السر يا خالد .

- انهي مؤمن هذه العبارة ثم صرَخ في وجهي وسقط مغشياً عليه وعادت بعدها الكهرباء للشقة .

****

بدأت أعود لوعيي مرة أخري , يبدو أنني اصطدمت بشدة في الحائط بعد صرخة مؤمن الخارقة , بدأ سمعي يعود للعمل عندما سمعت نور يتحدث لي .

- خالد ؟ , خالد انت كويس ؟

أومأت رأسي مؤكدًا له بأنني بخير , اعتدلت ثم قولت في خوف .

- مؤمنن ! , مؤمن كانت عينيه كلها بيضاء , هو .. هو فين ؟

في هذه الأثناء دخل مؤمن وكأن لا شيء حدث وهو يأكل تفاحة ثم قال .

- قوم يعم إنت بتسيبنا وبتدخل تنام , بس نومة الحيطة دي جديدة , السرير فاضي كان يا عم .

لم أصدق ما كان يقوله وكأن بالفعل لم يحدث شيء ! , وقفت بصعوبة وأنا امسك رأسي من شدة الألم .

- انت وقعت قدامي , أنا فاكر , عينيك كانت بيضاء , ازاي !

نظر لي وكأنه يقول لي أنني جُننت .

- مكانش طالعلي قرون شيطان بالمرة يا خالد؟ , روح اغسل وشك يا خالد باين عليك خَرفت ! .

قال هذه العبارة ثم انصرف , نظرت لنور وعمر وانا اقول .

- متقلقوش متجنيتش لسة , وسعوا عشان ادخل اغسل وشي , باين عليا اتخبطت في الحيطة جامد .

- خرجت من الحمام بعدما أخيرًا استعدت وعيي بنسبة مئة بالمئة , خرجت متجهًا للصالة لأجدهم يجلسون ويبدو أنهم ينتظروني . نظرت لعمر وسألته .
- هو الكهرباء جات من امتي ؟
- من حوالي ساعتين كده .

نظرت لمؤمن بطرف عيني , كنت لا اصدق ما قيل لي , لازالت متأكدًا بأن مؤمن كان يقف أمامي بعينيه البيضاء , نعم تذكرت , قال لي " اكتشف السر يا خالد " , نظرت لمؤمن وانا اسأله.

- طالما شايفني خَرفت يا عم مؤمن , مكونتش ليه بترد علينا لما كنا بننده ؟

عاد يرمقني بنفس النظرات التي كانت منذ قليل .

- خالد انت متأكد انك كويس ! كنت بتنده عليا وانا جنبك ليه ؟

وقعت هذه العبارة علَي كالصاعقة , هل جُننت ؟ , لا ! , من الممكن ان أكون قد تخيلت المسخ الذي كان يقف أمامي في الغرفة ولكني متأكد بأن مؤمن ذهب ليحضر الشمع , تذكرت سريعًا بأن عمر كان ينادي معي , نظرت لعمر وأنا اهاجمه بسؤالي .

- عمر , انت كنت جنبي , مش مؤمن قام يجيب الشمع وقعدنا ننادي عليه ؟

نظر لي بغرابة ثم نظر لنور ومؤمن وهو يقول .

- الظاهر انه اتخبط في الحيطة جامد , خالد , اهدي كدة وفوق ! , مؤمن متحركش اساسًا من جنبنا , انت قولت انك قايم تجيب حاجه من أوضتك ولما اتأخرت قلقنا ودخلنا عليك لقيناك واقع وساند ضهرك علي الحيطة .

لم أعد أتحمل ما يقولونه , نهضت وأنا أصيح بهم .

- انتوا مجانين أكيد , انا مش مجنون ! , سامعين ولا لا ؟

أنهيت كلامي ودخلت غرفتي وأغلقت الباب ورائي , كنت لازالت لا أتحمل ما سمعته , جلست على السرير أفكر , من المسخ الذي ظهر لي في الغرفة ؟ من الذي نهض ليحضر الشمع ؟ و ما هو السر الذي كرره لي مسخ مؤمن هذا ؟ , لابد أن هناك سرً مدفون هنا , سر أسود ملعون ولا أعلم لماذا اشعر أن مصدره هو الغرفة الرابعة ! في الصباح كل شيئ سيكون واضحًا .

(2)

في الصباح كل شيئ سيكون واضحًا

إستيقظت باكرًا علي صوت صياح إحدي الديوك الموجود بإحدي العمائر السكنية الموجودة بالقرب منا , نظرت في شاشة الهاتف وجدتها تقترب من الرابعة فجرًا , توضأت ثم خرجت من الحمام متجهًا لغرفتي لكن فجأة أُغلق الباب بشدة في وجهي , اعتقدت أن صوت اغلاق هذا الباب سيوقظ باقي الشباب ولكن حمدت الله علي عدم استيقاظ أحد منهم , خاصًة مؤمن الذي كان سيسِب علي ايقاظه بهذه الطريقة , حاولت فتح الباب مرة أخري ولكنه لا يفتح , بدأت استخدم العنف

وأدفعه لكن محاولاتي بائت بالفشل , كنت قد يأست من محاولاتي المتكررة التي كانت نتيجتها الفشل , فوجئت بعدها بصوت باب آخر يُفتح , لم يكن باب غرفتي , ولكن باب الغرفة الرابعة ! , بدأ يُفتح رويدًا رويدًا ويُخرج صوت صرير شديد , اتجهت بخطوات حذرة ناحيته , لطالما كان لدي فضول شديد في معرفة ما الأشياء التي تختفي وراء هذا الباب , دلفت داخل الغرفة ورغم أن ضوء الحمام ينير الطرقة الا أنني لم أرى أى شيء , وما إن تخطيت عتبة الباب حتي أغلق الباب بشدة ورائي, عدت لأستغيث بأى شخص من أصدقائي وانا أطرق علي الباب لأنه لم يستجيب حينما حاولت أن أفتحه , سمعت صوت خطوات خلفي

, لا شيئ أراه سوي الظلام , ظلام أسود دامس , بدأت أتحرك وأتحسس الحائط لكي أجد مقبض الضوء , كنت لازلت أسمع صوت الخطوات يقترب مني , تشجعت وانا اتحسس بيدي أمامي لأعرف من صاحب صوت الخطوات .

- مؤمن ؟ , مؤمن بلاش هزار سخيف , فين زرار النور ؟ , مؤمن ؟

جاء لي الرد من احدي زوايا الغرفة ولكنه لم يكن صوت مؤمن بل كان صوتًا ناعمًا لفتاة .

- عمرك فكرت يعني ايه تبقي مظلوم يا خالد؟
- انتي تعرفي اسمي منين ؟

- أنا اعرف حاجات كتير عنك , بس مش هو ده موضوعنا , مردتش علي سؤالي ؟
- لل .. لا , مجربتش الاحساس ده بس اعرف انه احساس وحش , انتي مين ؟
- مش دلوقتي هتعرفني , اكتشف السر وهتعرف أنا مين , السر يا خالد متنساش .

أنهت هذه العبارة ثم فُتح الباب ورأيتها ويا ليتني ما رأيتها , وجه مغطي بالدماء وبشع للغاية , فتاة متوسطة القامة عيناها بيضاء تمامًا تنظر لي وهي تبتسم , كنت أراها , أكاد أقسم بأنني لم أشعر بقدمي ثم اصبحت لا أرى إلا السواد مرة أخرى , و لا أعرف بعدها ما حدث

لأنني وجدت نفسي ملقي خارج الغرفة في الطرقة تحديدًا نائمًا علي ظهري ومؤمن وعمر ونور ينظرون لي في حيرة وتعجب .

****

إستيقظت مرة أخرى لمواجهة كوابيسي اللعينة , بالطبع لم يتفوه أيًا من أصدقائي بكلمة واحدة بعد ما رأوه ليلة أمس وتركوني اذهب لغرفتي وأنام , كانت العاشرة والنصف صباحًا , كان لابد أن أذهب اليوم للجامعة , أود أن أعطي لنفسي قسطًا من السلام من هذا البيت بعد أحداثه الأخيرة هذه .

- صباح الخير يا خالد .

كان الصوت آتيًا من نور , رددت له الصباح ثم أخبرته أن يوقظ البقية لأخبرهم بشيء مهم , ثم أغلقت باب الحمام ورائي تجنبًا لأي محادثة من الممكن أن تعكر مزاجي .

مع خروجي من الحمام كان بقية الشباب قد إستيقظوا , دخلت غرفتي لأري ماذا سأرتدي بدون أخذ الأراء كالعادة , انتهيت ثم خرجت لأجدهم في إنتظاري ويبدو علي وجههم النعاس الشديد .

- خير يا خالد , ايه الحاجه المهم اللي عايز تقولهالنا ؟

كان السؤال السابق من مؤمن .

جلست أمامهم وانا صامت لوهلة ثم بدأت في الحديث .

- الأحداث الأخيرة مش عاوز أتكلم فيها , هنرجع لحياتنا الطبيعية العادية , أنا عندي فكرة تحل مشكلتنا .

جذبت إنتباههم بكلامي وهذا ما كنت أريده ثم أكملت .

- هو احنا ليه حابسين نفسنا في ثلاث أوض بس ؟ مش هما أربعة ؟

لوهلة لمعت عين مؤمن ثم إنطفأت من جديد وقال .

- قصدك نفتح الأوضة الرابعة ؟ , هي فكرة , بس لو عم كمال عرف ؟ بعد كدة إزاي هقعد في أوضة كبيرة لوحدي وهدفعله نص أجرة ؟

- لأ , الأوضة دي بس تحل المشكلة مؤقتًا بس لحد ما نلاقي حل أحسن , يعني اللي عاوز يعمل تليفون او أي حاجه بليل يروح فيها عشان التاني ينام , بعد كدة عم كمال مش هيقول حاجه أكيد , حتي ليلى بنته قالتلي الشقة أربع أوض وقالتلي عادي ممكن نفتحها , إحنا هنظبطها ونستخدمها بدل ما هي مقفولة كدة وكلها تراب , ده عم كمال هيفرح جدًا . بعد كدة هي اول مرة نفتح أوض يا عمر ؟ , مش فاكر لما عملنا

كدة السنة اللي فاتت وأصحاب البيت إنبسطوا قوي مننا .

- أيوة صح , وممكن يكون عم كمال مكسوف مننا عشان الأوضة مكركبة ومش نضيفة , إحنا هننضفها ولما يرجع من عند قرايبه هنقوله .

قال نور في رفض واضح .

- طب إفرض الحاجات اللي قال عليها لقيها ناقصة ؟ يقول إحنا اللي أخدناهم ؟ الأحسن هو اللي يفتحها .

دافعت عن فكرتي قائلًا .

- إحنا هنقوله إننا فتحناها , وبعدين يا نور هو إحنا حرامية ؟ هشيل الحاجات دي في كرتونة على جنب ونحافظ عليها , ولما ييجي بالسلامة هنديله الحاجات دي .
- خلاص يبقي إنت المسئول .
- تمام , في حد عنده مانع ؟

بموافقة نور جاءت الموافقة بالإجماع من الشباب .

- طيب أنا هنزل الجامعة , ممكن تريحوا شوية وتصحوا تفتحوها ؟
- إحنا خلاص صحصحنا ولا إيه يا شباب ؟

قال عمر هذه العبارة في حماس .

- أيوة , إحنا هنفطر وهنقوم نفتحها على طول .

كان هذا الرد من مؤمن الذى نهض وذهب للمطبخ سريعًا ممتلئًا بالنشاط لتجهيز الفطور .

كنت قد تأخرت ولابد أن أتركهم الآن للذهاب للجامعة , نهضت وأنا ألقي السلام ثم تركتهم ورحلت .

إتجهت للجامعة ونسيت الغرفة والباب إلي أن انتهيت من جميع المحاضرات وكنت في طريقي للرحيل حتي رأيت ليلى أمامي متجهة لمبني كلية طب المجاور لنا , لا أعلم لما بدت ضربات قلبي وكأنها في سباق سرعة , كانت سريعة للغاية , هل

هذا هو الحب أم ماذا ! , لقد رأيت من قبل إحدي المعلومات علي شبكة الإنترنت مكتوبًا بها أنه عندما نرى من نحب تبدأ ضربات القلب فى الإسراع بشدة وهناك من يضخ لديهم الأدرينالين في جميع أجزاء اجسامهم , رحلت وأنا مبتسم لرؤيتي لها اليوم ثم عُدت إلي المنزل .

***

وجدت الشباب فى إستقبالي , واقفون امامي في زهو مبتسمون , كان يظهر على وجههم الإجهاد .

- الحمدلله , فتحنا الباب .

بدأ مؤمن يقص لي ما حدث بإيجاز , ما إستنتجته أن الباب كان لا يريد أن يفتح ولكنه فُتح في النهاية , هل من بداخله يرفضون ؟ , بالتأكيد لا , لأ أعلم لماذا عدُت للتفكير لهذه الأحداث الغريبة , لكنني دخلت وألقيت التحية علي الجميع .

- الله ينور يا رجالة . فتحتوه إزاى ؟

- الأول حاولنا نطفش القفل بس مكانش راضي يفتح , حاولنا شوية بمسمار كبير وشاكوش وفضلنا ندقدق شوية , وبالسكينة شوييتين .

هكذا شرح عمر وأكمل بعده مؤمن .

- إحنا عايزين عزومة كبيرة ومُغذية عشان التعب اللي تعبناه ده , باب صعب جدًا , ده زي ما يكون حد قاري عليه !

إبتسمت ثم غلبني الفضول لأرى الغرفة المغلقة .

سرت نحو الغرفة كي أستطلع ما بها ؟ لا شيء يبدو مختلفًا بها , الجدران بيضاء , شباك متوسط الحجم مغلق , كنبة مشابهة تمامًا للكنبة التي في غرفة الإستقبال . كرتونة أحذية نسائية متهالكة , غسالة ملابس تحتضر منذ سنوات , كرتونة قديمة محكمة الإغلاق ,عليها بعض الكتب الخاصة بمواد كلية الطب , يبدو أنها تخص ليلى , وأخيرًا صندوق خشبي مطلي باللون الأسود متوسط الحجم قديم ,

أشبه بقطعة آثار مهملة , يحكم إغلاقه قفل فضي كبير , يحتاج مجهودًا ليُعاد لصيغته الأولى , نُقشت عليه جُمل بخط قديم مُتداخل يصعب قراءته , من المؤكد أن هذا هو الشيء الثمين الخاص بعم كمال . أردفت مبتسمًا .

- طيب يا رجالة , شكلكم كنتوا في حرب , يلا نحتفل .

شارك الشباب في نضافة الغرفة بمساحيق النظافة , بالتأكيد نحن كشباب ورجال هذه الأشياء دائمًا ما تكون أمهاتنا هي المسئول الأول عنها لكن كحال كل شاب مُغترب , لابد أن نتعلم كيف تكون مسئولًا , أزلنا الكثير من الأتربة ,

نظفت الصندوق الخشبي قدر الإستطاعة , وأعطيته ركنًا يصعُب المرور به , ثم نبهت الشباب بعدم التعرض له , فبالإضافة أنه من ممتلكات عم كمال إلا أنه يبدو أثريًا وأنا أعرف قيمة كل ما هو قديم كما كان يُعلمني أبي , بلا أدني شك قطعة ثمينة جدًا , أحضرنا الكنبة التوأم من غرفة الاستقبال , حتى تأنس بأختها هنا . فهذه الغرفة أدفأ كثيرًا من باقي البيت , عندما نخبر عم كمال بما فعلناه يستطيع الاستفادة منها مثل باقي الغرف , سوف تكون مفاجأة رائعة , وسوف يسعد بلا أدنى شك , لكني أتمني ألا يزيد الايجار على مؤمن أو نور .

مرت الأيام هادئة ولطيفة مرة أخرى , جعلنا من الغرفة الرابعة " السنترال" الخاص بنا , أصبح مؤمن ونور وعمر يستقبلون فيها جميع مكالمتهم , ثم أصبحنا نستقبل فيها أصدقائنا من الجامعة للمذاكرة او الثرثرة احيانًا , هذه الغرفة لها روح مُختلفة عن باقي الغرف , تدخلها فتستريح نفسك وتستجم , أم أنها لذة الممنوع من المرغوب !

إختفت المشاكل و كفَ مؤمن عن الشكوى , وعاد الهدوء من جديد لنا جميعًا مُستمتعين بأيام جميلة لن تُنسي أبدًا . حتي رحلت عنا سنة

2010 م وبدأت 2011 م ومعها بدأت الأحداث تتصاعد .. مرة أخرى .

***

(3)

لست وحدك

مرت 2010 بسلام , وإن لم يكن بسلام بالمعنى الحرفي ففي آخر يوم من هذه السنة وبعد أن دقت الساعة الثانية عشر منتصف الليل معلنًة قدوم يومًا جديد وعامًا جديد , صوت الدماء صرخ وبشدة في هذه الليلة , صوت الحزن كذلك خرج عن صمته , دوي إنفجار بالقرب من السكن الخاص بنا وبالأخص بالقرب من كنيسة القديسين "مارمرقس الرسول والبابا بطرس" , إستيقظنا علي صوت الانفجار وصراخ الموجودين بالقرب من الكنيسة , الكل سواء مسيحيًا او مسلمًا يحاول دخول الكنيسة لانقاذ والده او قريبه او اخته او أى شخص من الممكن أن يكون يعاني بالداخل , استيقظنا علي صوت الانفجار ثم تبعتها صرخات الموجودون بالقرب من الكنيسة, كان يومًا حزينًا على مصر بأكلمها , تأثرنا

عندما رأينا فى التلفاز أن أكثر من عشرون شخصًا بريئًا راحوا ضحية هذا الحادث , بدأت 2011 بحزن شديد علي الكل .

***

كنت اتحدث إلى شقيقي "فارس" مساء أحد الأيام في الغرفة الرابعة التى نستقبل بها مكالماتنا , وعندما انتهيت من المكالمة لاحظت أن الصندوق الأثري بالغرفة مفتوح , القفل كذلك كان مفقود, اقتربت في وجل وفتحت الصندوق , بداخله شيئًا يشبه الخنجر ولونه ذهبي ورغم أن الأتربة تغطيه من جميع الاتجاهات الا أنه لازال يحتفظ ببريقه , عليه آيات غير واضحة , قطعة قماش مُهترئة , شموع مُستخدمة ,

كتاب وأوراق قديمة بها رسوم هندسية , منديل من قماش ملفوف . ملابس تشبه الملابس الفرعونية ولكنها غريبة الشكل , ساعة قديمة جميلة تكسوها الأتربة وعلى ما أعتقد أنها تخص عم كمال , سوف أقُص عليه ما مررنا به بكل تأكيد , لكن في كل الأحوال لن أجرؤ أن أقول له فتحنا الغرفة , وبعثرنا ممتلكاته الخاصة !

وضعت كل شيء مكانه لكن يظل القفل مفقود !

من الذي استطاع أن يفتح هذا القفل القديم العتيق ! , من فَتحه يستطيع فعل أى شيء , رغم أن محتوياته لا تحُث على السرقة لعدم نفعها , إلا أنني

قررت أن أنقل ما تبقى من الأمانة , التي اضطرتني الظروف أن أحملها إلي غرفتي كي تكون بمأمن .

بعدها بأيام وأثناء مروري بأحد المحلات , وقع نظري على إحدي الساعات المعروضة من وراء الفاترينة , عقدت العزم على الادخار حتى أستطيع شراء هذه الساعة , فقد كانت باهظة الثمن , بعدها بأيام اقتنيتها , كنت أدخرها لأقرب نزهة قادمة , كنت أرى الغيرة في عين نور , والتي نتجاهلها جميعًا , فأنا أعلم الاختيار بين التغاضي عن عيوب الأصدقاء والتعايش معها , أو نبقي منعزلين .

وفي يوم من الأيام التي كنت أنوي بها أن أخرج في نزهة مع أصدقاء الكلية , تأنقت كعادتي وارتديت

الساعة الجديدة التى إشتريتها , ثم ذهبت للمرآة بغرفة الاستقبال , كان الشباب يتنقلون بين الغرف والمطبخ , حتى استقروا في المطبخ ليلتهموا ما فيه من بقايا طعام , تأملت الساعة ثم سألتهم عن رأيهم في الساعة الجديدة ومظهري .

- ايه رأيكم يا شباب ؟
- حلو جدًا يا خالد .

كان هذا رأي عمر .

- طب حلوة الساعة على الطقم ده ؟
- لا يا خالد مش لايقة , غيرها .

كان هذا رد نور والذي جاء في غيرة واضحة .

في سذاجة غريبة خلعت الساعة ووضعتها على الكومود الموجود بجانب المرآة ثم ذهبت لغرفتي لأنتقي ساعة أخرى من الساعات الموجودة معي , ثم عدت مرة آخرى بعد مدة لا تتجاوز الثلاث دقائق , وقفت مكاني متجمدًا مما رأيته ثم بصوتٍ عالٍ .

- مين اللي عمل كده !

اسرع الشباب على صوتي العالي , بينما ألسنتهم مازالت تتلوى بباقي الطعام , ثم أرتسمت الدهشة على وجوههم محدقين فى الساعة , ساد الصمت بيننا , لا أحد يتكلم , يحدقون في بعضهم البعض في اندهاش , كانت الساعة على الأرض , محطمةً

لأجزاءً كثيرة , يكاد يكون كل جزء في ناحية , نظر لي مؤمن في ذهول .

- إيه ده ! , مين اللي كسر الساعة كدة ؟
- بتسألوني أنا ؟

استدرك عمر وكأنه ينفي التهم عنهم .

- والله ما نعرف يا خالد ! , ما إحنا قدامك في المطبخ , وبعدين انت كنت لابسها في إيدك حالًا !
- أديك قولتها , مين بقي اللي عمل كدة ورماها , وواضح إنه رماها وهو مغلول !
- تقصد مين يا خالد ؟ , انت اتجننت ؟ , هنعمل كده ليه يعني !

- على سبيل الهزار التقيل مثلًا يا مؤمن !
- إنت مكملتش دقيقتين ورجعت يا خالد , هنلحق نعمل كده إزاى ؟
- معرفش يا نور ,عمومًا اللي عمل كده مننا وحسبي الله ونعم الوكيل في اللي عمل كده .

كنت أدرك بأن الأقرب لفعل مثل هذا كان نور , لم أنس أنه اشترى عدة مرات نفس الأشياء التى اشتريتها أنا من قبل , الغيره هي من تحركه , وهو من اعترض على ارتدائي للساعة الجديدة , ولكن بما أن الساعة باهظة الثمن , فلن يستطيع شرائها , فكان الحل هو تحطيمها في غفلة عن باقي الشباب , ببساطة لا يريد رؤية أي منا أفضل منه , في علم

النفس هناك الكثير من حالته , مسكين , ولكن ما ذنبي أنا ؟

في هذا اليوم كنا نتبادل النظرات الغير مريحة , لن أستطيع العيش هكذا , بالتأكيد لابد أن أعفو وأسامح , مع توخي الحذر منهم جميعًا , لا أعلم كيف سأئتمنهم بعد ذلك على نفسي ؟ , لم نتحدث كثيرًا كعادتنا , كان خليط الحزن والشك والخوف والحيرة يدور حول عقل كل واحدٍ منا , من فعل هذا ؟ , كنت الاحظ نظرات الشك في عيون كل واحد منهم للأخر , ولكن الأهم من ذلك كله , هل يوجد بينهم من يكرهني إلي ذلك الحد ! , لا .. لا , لن أكمل في التفكير , لقد أخذت قسطًا وفيرًا

اليوم من الكآبة والتفكير العميق , لابد أن أرتاح كي لأ أهلك مخي وأعصابي أكثر من هذا .

بعد أن أنهينا عشائنا , لم نعلق علي شيء , لم أجرؤ علي لمس حطام الساعة , وكأنني أرسل رسالة للفاعل ليرى مدى بشاعة فعله , ترك كل منا الآخر استعدادًا للنوم , عندما أغلقت باب غرفتي جلست أفكر , كاد عقلي ينفجر دون الوصول لنتيجة حقيقية , لماذا نور ؟ هل يكرهني إلي ذلك الحد , لم ادرك كيف ومتي رُحت في ثبات عميق حتي ظهيرة اليوم التالي .

استيقظت على صوت صياح من احد الشباب ويبدو أنه مؤمن , نهضت سريعًا وخرجت لأرى ماذا حدث .

- مين اللي عمل كده فيكم ؟
- في ايه صوتك ليه عالي ؟

دخل مؤمن لغرفته ثم خرج بإحدى قمصانه الثمينة ولكنه مُقَطَع لأجزاء , ألقى بالقميص في وجه نور , وسط ذهولي وذهول عمر نور , لحظات الذهول الآتية من تخبط الأفكار تظهر مرة أخرى على أعيننا , ما الذي يحدث , من منا الذي يجرؤ على فعل تلك الأفعال , هل يمكن لسخافات صغيرة

تصدر بين الحين والآخر من إحدانا أن تكون مصدر انتقام بكل هذا الغل !

نظرت إلى نور أحمل علامة استفهام ؟ ويقين أننا سوف نعرفه , وعندها لن ندعه يعيش معنا لحظة , لا شيء يدوم , سوف ينكشف قريبًا , إلا أن عيون مؤمن ظلت تنتقل بيننا في شك .

- مبلمين يعني ؟ , مين فيكم اللي بيعمل كده ؟
- إيه كل الغل ده ؟

أسرع نور في رده .

- تقصدوا إيه يعني ؟ , هقطع حاجتكم ليه بقي ؟

- أنا موجهتلكش الكلام , بترد ليه ؟
- متكل.....
- إيه يا شباب ! , أنا فعلًا مش مصدقكم , إزاي بتفكروا كده ؟ بس مين بس اللي يعمل كده ؟ , مش قادر أصدق !

عاد مؤمن ليتكلم بغضب .

- بصوا بقي , القميص ده كان غالي عندي جدًا عشان أبويا جايبهولي , كنت دايمًا بحافظ عليه , اللي عمل كده فيكم مش هسيبه !

دخل مؤمن غرفته , ووراءه نور وعمر في تتابع على مهل , وكأنهم يجُرون أرجلهم من الصدمة , أغلقت

الباب ,على نفسي للمرة الثانية ولم أدر ماذا أفعل ؟ كيف أفكر هذه المرة ؟ بالأمس كنت أتهمهم واليوم أنا في عداد المتهمين ؟

على الأقل أعرف الآن أنه عمر أو نور , وبالطبع أرشح نور بقوة , الوحيد الذي يغار من أى شيء ليس بحوزته , أو حتي لا يستطيع شراءه , الوقت سوف يثبت للجميع صحة تفكيري .

وضعت رأسي على المخدة ولم أدر بنفسي بعدها .

الثالثة فجرًا ..

إستيقظت وكأنني كنت فاقدًا للوعي , لكن مهلًا لماذا أشعر وكأنني أختنق ! , كان هدوءًا قاتلًا , لا

أسمع أى أصوات بجانبي , رفعت يدي كي أتحسس الكومود الموجود بجانب سريري ولكني وجدت شيئًا خشبيًا مثل غطاء تصطدم به يدي , ماذا ! هل هذا قبر ؟ , هذا صندوق خشبي الذي يوضع به الموتى ! , لا لا أنا اكره الأماكن الضيقة , بدأت أختنق , كنت أسمع صوتًا بالخارج , صوت أحد الشيوخ يبكي ويدعو .

- اللهم إن كان محسنًا فزد من حسناته ، وإن كان مسيئًا فتجاوز عن سيئاته . اللهم أدخله الجنة من غير مناقشة حساب ، ولا سابقة عذاب , اللهم آنسه في وحدته ، وفي وحشته، وفي غربته .

- خرجوني ! , أنا عايش ! , أنا عايش ! , طلعوني من هنا !

كنت لازلت أسمع صوت الشيخ وبكاء الموجودون , لا! , لازلت أستحق فرصة أخرى , أخرجوني !

سكت فجأة كل شيء , ثم سمعت أصوات خطوات تقترب من الصندوق , بدت صوت الخطوات قريبًا جدًا ثم توقفت , ثم جاء الصوت من الخارج وكان أسوء صوت سمعته في حياتي .

- اللعنة بدأت يا خالد , فتحتوا باب جهنم اللي مبيتقفلش , مصيرك بقى معروف وخلاص نهايتك بتقرب .
- انت مين ! , ارجوك خرجني ! , خرجني !

- انت هترجع تاني للدنيا عشان أنا لسة مخلصتش معاك , فرعون جهنم رجع تاني والمرة ديه هيفتح باب جحيمه على الكل .
- فرعون جهنم ! ما هذا الإسم الغريب ! , بدأت أعود للإختناق ولكني كنت أسمع صوت مؤمن وعمر من بعيد .
- خالد ! , فوق يا خالد ! , خالد ؟

عدت لوعيي , استيقظت على سريري, مؤمن ونور وعمر يجلسون بجانبي وعلى وجههم يظهر الرعب !

- هو حصل إيه ؟
- إنت مش لوحدك يا خالد , فرعون مش هيسيبك .

كان هذا رد عمر قبل أن تنقلب عينه بيضاء تمامًا ثم سقط أرضًا مغشيًا عليه.

كان مؤمن ونور متجمدون لا يتحركون ! , نهضت لكي أساعد عمر على النهوض ولكن سرعان ما رأيت شخصًا غريبًا واقفًا أمام باب الغرفة , رجل قوي البنية مفتول العضلات , طويل القامة , مجعد الشعر , لونه أسود قاتم , يرتدي ملابس تقترب من الملابس الفرعونية ولكنها ليست بملابس فرعونية تمامًا , ابتسم لي بطريقة مرعبة ثم انقطعت الكهرباء بعدها .

لا أرى إلا السواد والظلام , ولكن مهلًا ! , صوت عمر ومؤمن يأتي من بعيد مرة أخرى !

- يا خالد ! , يا خالد فوق بقى ! , خالد؟

عادت الأضواء مرة أخرى ولكن مهلًا مرة اخرى ! كيف عدت لسريري مرة أخرى عمر ومؤمن أمامي يترقبون أو ينتظرون شيئًا ما .

- انت كويس يابني ؟
- هو في إيه , ايه اللي حصل ؟
- صحينا علي صوتك وإنت بتصرخ وبتقول خرجوني وطلعوني من هنا , كنا بنحاول نهديك بس عينيك بقيت لونها أبيض فجأه , لدرجة إننا اترعبنا وبعدنا عنك , قعدت بعدها متقولش غير حاجه واحدة , "فرعون جهنم راجع" , "فرعون جهنم راجع" .

ظهر على وجهي التعجب , لا أعرف من هو فرعون جهنم هذا ! , طلبت منهم الخروج ليتركوني وحيدًا لبعض الوقت , كانت الساعة تقترب من السادسة والنصف فجرًا , يا إلهي لم أنل قسطًا كافيًا من النوم , كان لابد أن أذهب للجامعة , نهضت لكي أذهب للحمام لأغسل وجهي , ثم خرجت لكي أعود للغرفة ثم سمعت صوت جرس المنزل يرن , بدا على وجهي التساؤل , مَن مِن الشباب خرج الآن وعاد ؟ , اتجهت وقد زاد الاصرار مِن الذي يرن جرس المنزل , فتحت الباب ولكن لم يكن أحدًا موجود ! , أغلقت الباب ثم عدت لأتجه للغرفة ولكن مرة اخرى عاد جرس المنزل يرن , عدت مرة أخرى لأفتح الباب ولكن مرة اخرى لا أحد موجود ! ,

أعفيت عقلي من التفكير وعدت لغرفتي لأرتدي ملابسي للاستعداد للجامعة .

انتهيت ثم خرجت لأرى ساعتي التي تحطمت ليلة أمس موجودة على الكومود وبقايا حطامها بجانبها , يبدو أن الفاعل لم يتحمل رؤية بشاعة فعله .

لم أعطي اهتمامًا لما رأيته وخرجت متجهًا للجامعة .

***

مرت الأيام مرة اخرى , تغيرت أحوالنا , أصبح الجميع يتجنبونني بعد الأحداث الأخيرة , بل أصبح كل واحدٍ منا يتجنب الثلاثة الأخرين , دخل الشك قلوبنا ولم يعد الامان صديقًا كما كُنا من قبل , مجرد

سُكان نتشارك في الأجزاء المتبقية من الشقة كالمطبخ والحمام , في تلك الأيام كان عقلي لا يتوقف عن التفكير , لماذا تحدث هذه الأحداث معي انا فقط! , هل تحدث مع الباقين ويرفضوا الحديث ! , مرت الأيام كالبرق حتي حدث ما حدث في تلك الليلة .

ليلة أحد الأيام وبعد أن أنهينا عشائنا , كنت الاحظ غياب مؤمن , تسائلت عن سبب غيابه , أجابني عمر بأنه طلب أن يكون وحده لبعض الوقت , قررت أن أنتهي من العشاء ثم أذهب له للإطمئنان عليه .

أنهيت العشاء وطلبت من نور غسيل الأطباق , أما عمر فأحضر كتبه ووضعها على المنضدة ليُذاكر , اتجهت لغرفة مؤمن وطرقت الباب قبل أن أدخل , لم يَرد , فتحت باب الغرفة ولكن ظهر على وجهي التساؤل والتعجب , مؤمن يعطيني ظهره وينظر لشيئًا ما أمامه أنا لا أراه .

- مؤمن ؟ , انت كويس ؟

نظر لي نظرة كلها ألم وحزن , ثم عاد لينظر أمامه مرة أخرى .

أغلقت الباب ورائي ثم جلست أمامه .

- في حاجه مضايقاك ؟

صامت , لا يريد التحدث , ربَت على كتفه بحنان .

- لو في حاجة مضايقاك , احكيلي , انا هحاول أساعدك !

ابتسم ابتسامة مرعبة .

- مش هسيبكم يا خالد !

ثم نهض ودفعني ناحية الحائط مصطدمًا به وبعدها فقدت الوعي ولم أرى إلا رجلًا يرتدي ملابس غريبة يقف خلف مؤمن وهو يبتسم ثم أصبحت لا أرى شيئًا إلا ظلام دامس فقط .

***

عدت لوعي مرة أخرى وأنا على سرير مؤمن .

- يا جماعة أكيد فيه حاجة غلط , اللي بيحصل ده مش طبيعي !

كان هذا صوت نور الذي ميزته عن البقية .

- فعلًا يا جماعة , فيه حاجة غلط بتحصل واحنا مش فاهمينها !

رد مؤمن بالنفي .

- هيكون فيه ايه يا جماعة ؟ , اكيد هو تعبان شوية بس مش أكتر !

كنت أستمع لهم وأنا أنظر دون رد , كنت منهكًا , رجل طويل القامة , أصلع , يرتدي

ملابس فرعونية قديمة , فرعون , فرعون , نعم إسمه فرعون !

قاطعت حديثهم بصوت منهك .

- فرعون اللي بيعمل كدة .
- فرعون مين يا خالد ؟ , انت الخبطة لسة مأثرة عليك !
- هحكيلكم اللي شوفته بس لازم تصدقوني , لازم ! , لإني مش هكدب في ولا حرف هقوله .

قصصت لهم ما حدث وما رأيته , بدايةً من موقف مؤمن وانقطاع الكهرباء مرورًا بموقف فتح الغرفة الرابعة وظهور الفتاة الغارقة في الدماء , ثم قصصت

لهم ما سمعته عندما حُبست في الصندوق حتى وصلت لما رأيته خلف مؤمن وبعدها فقدت الوعي .

لم يصدقوا أي كلمة , بالفعل كل من يسمع هذه المواقف لن يصدق بل سيرى أن مَن أمامه هو شخص مجنون أو مختل عقليًا .

- المشكلة ان كل ده من بدري بدأ , بس فرعون ده مظهرش ليا غير بعد ما الأوضة الرابعة اتفتحت !
- لا يا جماعة ده أكيد جنان أو بتتخيل يا خالد , انا مبصدقش الكلام ده !

كان هذا رد نور الذي وافق عليه مؤمن كذلك بينما عمر لم يتحدث بكلمة وظل يُفكر .

- انا مش بآمن بالحاجات ديه يا خالد!
- الجن مذكور في القرآن يا نور !
- ده الجن يا خالد , انما انت بتتكلم على فرعون! , فرعون ايه اللي يظهر وفي شقتنا كمان وحابب يِنتقم !

استسلمت لتفكيرهم وعدت لغرفتي لكي استسلم للنوم هو الآخر , كنت أرغب في النوم للأبد , كنت أتمنى نسيان كل ما حدث , تمنيت لو كان والدي موجودًا لينصحني ويرشدني للطريق الصحيح , استسلمت للأفكار ورحت في سبات عميق .

***

في صباح اليوم التالي غادرت المنزل متجهًا للكلية , تخطيت بضعة شوارع حتى أصل للشارع الرئيسي , مررت بدكان عم فايز ولكنه كان مغلقًا , رأيت ليلى بالقرب منه , لا أعرف لماذا أشعر بشعور مختلف تجاهها , أرغب في التحدث معها بشدة , ربما هو الفضول الذي أعاني منه يريد أن يعرف اكثر عن هذه الشخصية الغامضة , أو ربما مجرد فراغ عاطفي .

تجاهلت إحساسي واستقللت تاكسي , أفكر كثيرًا دون جدوى , تقترب المسافة من الجامعة , لازلت أتذكر هديتي لأبي , نجاحي , يُعلن السائق عن

الوصول , وضعت يدي في جيبي لأخرج المحفظة التي لا تفارقني ليلًا أو نهارًا .

- معاك فكة 200 جنيه ؟

أقولها بثقة قبل ان أفتح السوستة الخفية التي تأوي الفئات الكبيرة من النقود , فما أملك من فكة لن يكفي أجرة التاكسي .

- حاضر يا أستاذ .

لم أجد النقود , فقط بعض الفكة المنثورة .

- يا نهار أسود ومنيل !
- في حاجة يا أستاذ ولا إيه ؟
- الفلوس مش لاقيها ! , ازاي بس !

لم يَعلق ونظر لي بريبة , وأنا أنفض المحفظة بلا جدوى , لملمت كل ما أملك من فكة لأعطي السائق أجرته , نزلت في شرود مع ما تبقي من أعصاب إلي مبنى الكلية , لا أستطيع التركيز , ذهبت النقود كما تذهب الأشياء , أين تذهب ! , لم تمس أيد غريبة هذه المحفظة , كنت متأكدًا من هذا , منذ الأحداث الأخيرة كنت أشدد من حرصي , حتى في نومي المتقطع ! , تذكرت .. , كان أحدهم في غرفتي ليلًا , نعم أنا متأكد , لكني لم أقو على فتح عيني , فقد كنت في نُعاس جاهدت لأحصل عليه , ونسيت أن أسألهم عندما أفقت , أم تراني كنت أحلم , هل أصاب عقلي شيئًا، هل اصابنا جميعًا مرض عقلي ؟

دخلت مبنى الكلية لكني لم أذهب لحضور أية محاضرات , ذهبت إلى مكان هادئ في الكلية يكاد يَمُر به الطلبة , عند شجرة عجوز تنزوي بنفسها بعيدًا عن الزحام , أردت ان ألتقط انفاسي مستندة برأسي إليها , حاولت أن أتذكر , ربما انفقت النقود ولا أتذكر , ووسط كل هذا رأيت ليلى تمر أمامي , وبدون وعي ناديتها برغبتي الداخلية التي لا تقاوم .

- ليلى , ليلى ؟

تنبهت وأخذت تنظر حولها فرَفعت من صوتي .

- أنا هنا يا ليلى، على يمينك !

قمت وعبرت بضع خطوات حتى أكون قريبًا منها , وكأنني نسيت ما بي من تشتت , لا أرى سِوا عينيها , نظرت لي في حياء , وابتسامة مخفية .

- ازيك يا خالد , عامل ايه ؟
- الحمدلله , انتي عاملة ايه ؟
- كويسة الحمدلله .

ابتسمت ونظرت للأرض وبدونا كحبيبين لمن يرى , أو هكذا تمنيت , عندها لمحت بعض زملائي في الكلية يحدقون بنا فلم أبال , وأكملت حديثي .

- أنا شوفتك انهاردة كنتي معدية الشارع وباصة في الأرض وكان باين عليكي مستعجلة فقولت بلاش أنده .

- لا أوعى تعمل كده , انت عارف المجتمع هنا وممكن نتفِهم غلط .
- عندِك حق .
- كان في حاجة عاوز تقولها ؟
- لا خلاص , متشغليش بالك .
- تعالى يا خالد نقعد ممكن نقعد مكان ما كنت قاعد , أنا مش هقعد كتير , احكيلي مين مضايقك ؟
- عرفتي منين اني متضايق !
- شكلك باين عليه .
- بصراحة في حاجات كتير بتحصل معانا كلنا .
- إزاي ؟

- في واحد من الشباب حرامي , بس مش عارفين هو مين , ومش عارفين اشمعنا على أخر السنة , ما كانت بانت من زمان !
- طيب إهدى واحدة واحدة إحكيلي .

سردت لها ما حدث , بدا عليها الاهتمام والقلق لكنها لم تعطني اجابة واضحة .

- ها , ايه رأيك بقى ؟
- مش من الشباب يا خالد .
- عفريت يعني ؟
- ممكن , ليه لا , انت بتقول ان فيه شخص بيظهرلك كتير الفترة اللي فاتت تحت اسم فرعون .

- يعني فرعون اللي بيسرقنا وبيكسر ويقطع حاجاتنا !
- أنا مش هقدر أقول ده من ايه بالظبط ! , كل اللي أقدر أقولهولك خلي بالك من نفسك كويس يا خالد .
- حاضر .

لم أقتنع بما قالته ليلى , شعرت بشيء غامض خصوصًا أنها لم تبدي أي رد فعل لما سَمِعَته لكننا اكتفينا بهذه الكلمة المريحة لجميع الأطراف "حاضر".

- انتي بتعملي ايه هنا صحيح ؟

- خطيبي بيدرس هنا في أداب وساعات بجيله هنا عشان نقعد شوية مع بعض.
- أنا آسف جدًا عطلتِك .
- لا مفيش حاجة خالص , أنا مش متأخرة عليه , أنا بجيله بدري .
- يا بخته .

لا يمكنني السيطرة على عقلي الباطن , لا يحق لي قول شيء كهذا ! , ابتَسمَت في خجل وهمت بالقيام .

- انا همشي دلوقتي وهبقي أتطمن عليك .
- صحيح أنا مش معايا رقم تليفونِك!
- متقلقش , انا هعرف أوصلك .

تفهمت خوفها على مشاعر خطيبها .

- طيب تمام .
- سلام , وخلي بالك من نفسك , ومتشقش في حد , أي حد !
- حاضر .

ودعتها بابتسامة خافتة ترسم احباط لا أعلم ماهيته , هل أحببتها ؟ , ليس حد الحب بالتأكيد , كنت أريد التقرب فحسب , على الأقل الآن , كنت أريد من أجلس أمامها وأخرج ما في جعبتي من كلام . على الأرجح تمنيت مثلها , ربما فقدان أبي اهم الأسباب , أو كيمياء القلوب اللعينه , الآن لم يعد لدي اختيارات . فقط المضي قدمًا ونسيان هذا

الشعور السخيف , كانت رؤيتها كفيلة بتهدئة عقلي مما يحدث في البيت , على الأقل لساعتين من الزمن .

في أحد الأيام نهضت مشوشًا غير مستقراً , وبعد ان اغتسلت ذهبت للمطبخ أصنع القهوة الخاصة بي , حملت القهوة وخرجت بها خارج المطبخ لأجد عمر امامي يضع يده على رقبته وينظر في ذهول .

- السلسلة الفضة اللي بحبها , اللي فيها صورة أبويا الله يرحمه , فاكرها؟
- اه
- ضاعت !
- تلاقيها هنا ولا هناك يا عمر , دوَر كويس .

- دورت , قلبت الدنيا , افهم يا خالد , السلسلة بسيبها في الدرج لحد امبارح بليل , وانت عارف انا بحبها قد ايه , وانا بتفرج عليها امبارح وبشيل الخاتم بتاعي رحت لبستها ونمت , انا متأكد , لما صحيت ملقيتهاش في رقبتي !
- دور في هدومك يمكن القفل فلت ووقعت .
- دورت يا خالد , قلعت هدومي ولبستها تاني !
- طيب تعالى ندور في الأوضة تاني يمكن واقعة ومش واخد بالك .

دخلت الغرفة على أمل أن نجدها ولكن لم يكن لها أثر , تبخر أملي بعد لم أحتسبه وارتسمت علامات

الحيرة والتساؤل على وجوهنا , كنا قد قطعنا أيامًا بغير كلام , فقط تحيات عابرة , في طريق ذهابه للمطبخ رأنا مؤمن داخل غرفة عمر , فنظر إلينا وقرر أن يتحدث .

- صباح الخير
- سلسلة عمر الفضة , عارفها ؟
- انهي ؟ , آه افتكرتها , اللي فيها صورة أبوه , مالها ؟
- ضاعت .

جاوبه عمر .

- لبستها بالليل , صحيت ملقتهاش في رقبتي !

لم يجيبنا مؤمن مما آثار شكوكي وحيرتي للمرة المليون , فقط نظر نظرة ذات مغذى ونظر للأرض محدقًا بها . ثم رحل .

فقط ارتدى ملابسه وبعد دقائق كان بالخارج , لم نفهم تصرفه , لم يتكلم , أتراه يعرف شيئًا ! , أم تذكر شيئًا ما ! , مر نور علينا وكأنه لا يراني , فقط ألقي تحية الصباح على عمر فقط وذهب للمبخ ثم لغرفته .

لا أستطيع أن أفهم او أستوعب ما يحدث ! , تبدلت أحوالنا , ليس عمر إذن , هل هو نور ! ام أصابتنا هلوسة وأصبحنا نسرق بعضنا البعض ! من منهم الممثل البارع ! , وأين ذهب مؤمن !

ذهبت انا الأخر لغرفتي , أعد ما تبقي من نقود , ما بال الأشياء تختفي فجأة ولا تعود ! أين تذهب ومن الذي يأخذها ولماذا ؟ هل نفحص الملابس والحقائب إذن ؟ , سأفحص ملابسي أنا اولًا , لعلي مصاب بمرض عقلي يجعلني أسرق ولا أتذكر , لابد أن أعرف الحقيقة !

تمنيت لو أسمع صوت ليلى الآن , ففي وجودها ترتاح نفسي وتستقر , وكأنه قد خدر كل ما بعقلي وقلبي من قلق , حتى لو فترة قصيرة من الوقت .

***

(4)

الشيخ صابر

قضينا أغلب اليوم نبحث عن سلسلة عمر الضائعة التي باتت سبب في ضياع صداقتنا والتخوين المستمر والقلق .

جاء عمر إلى غرفتي عاقدًا يداه يفكر دون أن نتحدث , ظل واقفًا على باب الغرفة , لم نتناول الإفطار , لم تعد لدينا شهية , نور مازال مكتئبًا على الأرجح , ينام فترات طويلة ولا يرد على أي سؤال أو أية تحية .

مع أذان العصر عاد مؤمن من الخارج , هتف بحماس إفتقدناه منذ بداية الأحداث المؤسفة .

- يا شباب ؟

مر كثير من الوقت نفتقد هذه الروح التي تميزنا , أصبحنا نتجنب بعضنا البعض , لم نعد كسابق عهدنا , نظرت إلى عمر في اندهاش وأردفت .

- تعالى يا مؤمن .

جاء مؤمن وعلى وجهه علامات أمل وتفاؤل , نظر إليه عمر في فضول , سألَ مؤمن .

- فين نور ؟
- أكيد نايم كالعادة .
- لأ , صحوه ضروري , أنا عاوزكم كلكم , الموضوع اللي بيحصل معانا عرفت حاجة عنه , وفي قرار لازم يتاخد مننا كلنا وحالًا .

أعرف مؤمن ومخه الصعيدي المتحجر , لن يقول شيئًا الا بوجودنا جميعًا , أسرعت إلى غرفة نور وفتحتها , وجدته نائمًا كما ظننت , فتحت إضاءة الغرفة بأكملها .

- نور , اصحى بسرعة , مؤمن عاوزنا كلنا عشان اللي بيحصلنا .

استيقظ نور وهو يقاوم النور المُباغت , ويحاول استيعاب الكلمات دون رد فعل , أخذت بيديه كالطفل فنهض دون تفكير , ذهبنا إلى غرفتي حيث يجلس عمر ومؤمن في صمت وانتظار , تكلم مؤمن وكأنه يخطب فينا .

- بصوا يا شباب , من الآخر كده مفيش تفسير لكل الحاجات اللي بتحصلنا إلا ان في جن لابس حد فينا , أو عايش معانا في الشقة , أنا بصراحة مشكتش في الموضوع ده على طول عشان احنا عايشين بقالنا شهور في الشقة , لو كان فيه حاجة كانت ظهرت من بدري , لكن يظهر كده ان العيب في واحد فينا , أنا شوفت المواضيع دي كتير قدامي , يمكن حد متغاظ من واحد فينا عمل حاجة , عمومًا هنعرف كل حاجة .

لم نتحرك حركة واحدة من أماكنا ونحن نستمع بإنصات شديد له , ظللنا هكذا لفترة , ثم بدأنا التلفت حولنا والنظر لبعضنا . تجردنا من شكوكنا

تجاه بعضنا لدقائق , لنقع في شك أكبر وأعمق وأخطر , لم يبد عمر أنه مقتنع بكلام مؤمن .

- جديد الكلام ده يا مؤمن .

ولم تلق الفكرة قبولًا عند نور كذلك .

- ازاي هنعرف بقى ؟ هنجيب دجال البيت ؟
- لأ دجال ايه يا عم , هنروح لشيخ كويس جدًا , أنا كلمته لما سلسلة عمر ضاعت , حكيتله على كل حاجة , قالي يا اما واحد فيكم ملبوس يا إما البيت مسكون .
- يعني من دماغك كده يا مؤمن بتروح , روح انت وشوف مين هيروح , أنا مش رايح للناس ديه .

- يا نور مفيش حل قدامنا غير كده , مين أخد سلسلة عمر ؟ مين كسر سلسلة خالد ؟ , مين قطع قميصي ؟ مين سرق فلوس خالد , والمواقف كمان اللي بتحصل مع خالد ؟

صمت نور أمام كلام مؤمن فنظر له في شك وتابع .

- قولي مين يا نور لو عارف ؟
- قصدك أنا يعني ؟

حينها لم أقصد الاتهام المباشر , لكنني أردت أن أفرغ ما بداخل رأسي .

- معلش يا نور يعني , ما هو انت الوحيد اللي محصلكش حاجة فينا , حط نفسك مكانا احنا , كنت هتفكر إزاي ؟
- يعني انت موافق يا خالد نروح لدجال ؟

انطلق صوت مؤمن مدافعًا .

- شيخ مش دجال يا نور !

نظرت إلى عمر بتردد .

- إيه رأيك يا عمر ؟
- والله أنا تعبت , انا مبحبش الناس دي , بس لو هيقولنا في ايه وانتوا هتروحوا هضطر أروح .

بدأ مؤمن يضغط على نقطة ضعفنا الآن وهي " معرفة الحقيقة "

- خالد , مفيش وقت , هو هيستنانا بعد المغرب , لازم نقوم نلبس دلوقتي .
- أمري لله , قوموا يا شباب يلا .

رفض نور رفضًا قاطعًا .

- أنا مش رايح , فكوني من الحوار ده.
- ليه يا نور ؟ , اصلًا كل الشكوك رايحة ناحيتك , خايف ليه بقي ؟
- تمام أنا هقوم وخليني وراكم للآخر.

في أقل من نصف ساعة كنا جميعًا مستعدين للخروج , نرتدي ملابس ثقيلة , يعلوها الجاكيت لما له من دور فعال في مواجهة برد الشتاء القارس خاصةً في الاسكندرية , ارتدي مؤمن جلباب أسود اللون ممسكًا بسبحة وصندل أسود جلدي مما جعلني أضحك على هيئته , أغلقنا البوابة الحديدية , قُبيل موعد أذان المغرب , مارين على الشوارع الضيقة النظيفة , وما إن وصلنا إلأى الشارع الرئيسي حتى استقللنا سيارة أجرة قاصدين خارج الاسكندرية , طغى علينا احساس المغامرة , إلا مؤمن كان في مهمة رسمية وخطيرة , لاحظت أني ارتديت الجاكيت الأسود المفضل لي فوق إحدي البلوفرات الصفراء التي أمتلكها الذي لا يجعلني أشعر ببرودة الجو القاتلة .

اقتربنا من المكان المنشود , وصلنا عند قهوة , كان لابد أن ينتظرنا الشيخ هناك ليأخذنا لداره , نزلنا من السيارة فوجدناه ينتظرنا , يرتدي جلباب أسود , تلف رقبته كوفية سوداء مثل لون الجلباب , وصندل أسود جلدي , طويل , أسمر , رشيق , بني العينين , يبتسم ابتسامة مخيفة بعض الشيء , مد يده مصافحًا .

- اهلًا وسهلًا يا شباب , ازيكم ؟

اتسعت ابتسامة مؤمن في تفاخر .

- الشيخ " صابر " يا شباب .

رددنا جميعًا .

- أهلًا وسهلًا .

سار هو ومؤمن في المقدمة بينما أنا وعمر ونور في الخلف , لم نتوقف عن الضحك لأتفه الأسباب , لا أدري ماذا حل بنا , أغلب الظن أننا سوف نضحك كثيرًا الليلة , لم نلاحظ معالم الطريق من الظلام , كل ما تذكرته أن البيت يسبقه ممر طويل علي يساره زرع طويل, ولا أدري ما يحده من جهة اليمين , عبرنا ممر طيني ودخلنا فناءًا واسعًا , أمامه منزل طيني صغير مطلي باللون الأزرق , ميزت اللون على ضوء اضاءة ضعيفة , معلقة خارج المنزل .

- اتفضلوا يا شباب .

تركنا البيت الطيني الصغير واتجهنا ناحية اليسار , نزلنا بضع درجات لغرفة تحت الأرض , تملك الخوف منا دفعة واحدة , الغرفة صغيرة , لون جدرانها أزرق اللون , باب دخول الغرفة يقع في منتصفها , في مواجهة الباب مقعد خشبي , فوقه مباشرةً عُلقت سجادة صلاة زرقاء اللون , علي يمينها صورة السيدة العذراء تحمل السيد المسيح في وداعة , وعلى اليسار صورة لفرعون مهيب مألوف الشكل , على يمين الغرفة كنبة قديمة الصنع ملتصقة بالحائط , وعلى يسارها مكتب صغير فوقه بعض الكتب , عليه أباجورة ذات اضاءة حمراء , على جانبي المكتب يوجد كرسي جلس عليه مؤمن , وحلست أنا في منتصف الكنبة وعمر على يميني ونور على يساري.

كان الرجل على درجة كبيرة من الأدب واللطف ورغم ذلك كان هناك شعور غير مريح تجاهه , أخذ يسألنا عن دراستنا وأحوالنا في الجامعة , خُضنا في هذا الحديث لدقائق , وبعدها قال .

- " ان العلم نور حقيقي للإنسان وأن للعلم درجات كثيرة منها المميزة والتي خص الله بها بعض عباده الصالحين . "

وبعدها أعطى لكل منا ورقة بيضاء ليكتب اسمه واسم والدته ويقوله بصوت عالٍ ففعلنا وعندما جاء دور نور .

- نور ابن حورية .

ابتسم الشيخ في ثقة غريبة .

- لا يا نور , انت اسمك بدران بس مغيره عشان مش عاجبك .
- قولت اسمي نور !
- لأ , اسمك بدران , أنا اسف بس دي حاجة متزعلش , ده اسمك .

لم يعجب مؤمن ما يدور فقرر أن ينهيه .

- يعم انت بدران واحنا عارفين !
- وانت مالك انت ؟

هنا شعرت أنه أبله فبدأت أستخف به , نظر له الشيخ وسأله في تحدٍ عن ملكية بيته وكأنه يعرف

ما يخفيه ويسخر من كذبه , الغريب في ذلك أن نور بدا كاذبًا فضحك بمكر وقاطعه .

- خلاص يا ابني , ساكن ملك ولا مأجر , ما علينا .

ثم التفت إلى .

- ازيك يا خالد ؟
- كويس الحمدلله .
- مالك ليه عيونك حزينة كدة ؟
- والدي متوفي من فترة .
- الحزن في القلب يا ابني مش في المظاهر .
- عندك حق .

نظرت له في شك وأردت أن اعيد تقييمي , فكرت أن مؤمن بالتأكيد زوده بالمعلومات ولكنه متضرر مثله مثلنا أم هي خدعة كبيرة منهما ! قاطع تفكيري قائلًا .

- شوفوا يا شباب انا هقرا على كل واحد فيكم , لو واحد فيه حاجة هيبان , لو كنتم كويسين هنشوف الشقة .
- يعني هتيجي معانا الشقة ؟
- لا , هعرف من هنا متقلقش .

بدأ طقوسه لمعرفة المصاب مننا , بدأ مؤمن وكأنه معتاد على هذه الطقوس , قام من مكانه ووضع يده اليمنى على رأسه ويده اليسرى مسح بها جبين مؤمن

, ثم أخذ في ترديد عبارات بلغة غير مفهومة بصوت خفيض , ثم ردد (وجعلنا من الشجر الأخضر نارًا) كانت هذه الآية القرآنية من سورة ياسين , بعدها ظل يردد عبارة يا هفاف ثم يتمتم بكلام غير واضح ثم يا هفاف , بصوت مفزع , عندها تشنج جسمه ثم عاد لطبيعته , ثم عاد للتشنج مرة أخرى وعاد طبيعيًا في نفس ذات اللحظة , لابد وانه يتصنع .

لكننا رأينا مؤمن وقد اختفى سواد حدقة عينه , وانقلب إلى الأعلى , وتحولت عينيه إلى اللون الأبيض فقط , كنا نتابعه في ترقب وفضول , أما نور ظل يمعن النظر في صورة الفرعون الموجود على الحائط , ثم طلب منه ورقته البيضاء ليكتب بها شيئًا

لم نراه , نهض بعدها عمر وحدثت معه نفس الطقوس والتشنجات والعبارات مع عمر لا يوجد أي فرق , ثم الكتابة على الورقة البيضاء وضمها إلى ورقة مؤمن . جاء دوري , نهضت بشجاعة ولم أجعل الخوف يتسلل لي بعد ما رأيته خصوصًا وأن الشباب على ما يرام مثلما أرى , ولكن ما إن بدأ في ترديد كلمة (يا هفاف..يا هفاف) حتى أحسست برجفة سرت في جسدي كله وتوقف عقلي عن التحليل .

كان نور معنا بالجسد فقط , عينيه وعقله سارحان في صورة الفرعون المعلقة أمامه , كل هذا الوقت مر وكأنه يتحدث مع فرعون بالنظرات فقط .

نهض نور وأدى طقوسه مثلنا , ولكن من الواضح أنه أنهك صابر بشدة , آثار الجهد والتعب تظهر على وجهه بدت واضحة , جلس منهكًا خلف مكتبه يجاهدكي يرسم ابتسامة , نظر في اوراقنا البيضاء بعد أن ملأها بكلمات غريبة ورسوم ودوائر ونجوم , لكن فضول مؤمن لم يهدأ.

- ها يا سيدنا , مين فينا فيه حاجة ؟

اشار الشيخ أن كل منا به مشاكل صغيرة كالحسد لمؤمن وريح جن لعمر , وكلها أمور تحل بوسائل بسيطة , لبس الفضة , شرب الكركديه , الاستحمام بورق نبق , رد عمر في حدة .

- لو عندي ريح جن صحيح , طيب ما اقرا سورة البقرة !

- وماله اقرا سورة البقرة طبعًا .

- بس انت مقولتش كدة الأول , تقول نبق وكركديه وفضة ومتجيبش سيرة القرآن , ازاي شيخ ومتعالجش بالقرآن؟

تبسم الشيخ ابتسامة صفراء ثم التفت إلى سريعًا .

- خليك انت بعيدن يا خالد , هرجعلك .

ثم التفت إلى نور في حيرة بينما لايزال يحدق في صورة الفرعون .

- نور , الشيوخ اللي بتروحلهم عاملين أحلى شغل , التحويطة اللي عاملها قوية جدًا مش مخلياني شايف أي حاجة عندك .

ابتسم نور في صمت واستمر في النظر لصورة فرعون .

كنت أعلم ان التحويطة شيء معتاد ومهم لدى أغلب أهل الصعيد , لتحويطهم من أي شر لهم وأهل بيتهم , فلا يستطيع أحد إيذاءهم عن طريق السحر ولا الحسد ولا يمسم الجن .

شعرت أنه بدأ في استفزاز نور بعد أن بدأ يتكلم عن حبيبته السابقة التي تزوجت حديثًا , ولامه لتركها حيث أنها مازالت تحبه وكانت مستعدة لفعل أي شيء من أجله . ثم ابتسم في خبث وقال .

- بس انتوا في حاجة مزعلاكم مش صح ؟

قرر أخيرًا عمر أن يشاركه شيئًا لعله يجدي نفعًا .

- وماله نقولك زعلانين ليه , مفيش بنت بتبصلنا يا شيخ , كل الشباب اللي حوالينا بتتخطب وتتجوز إلا احنا .
- نعملكم حاجة طيب . عاوز تتجوز مين يا خالد ؟
- ايه اللي انت بتقوله ده !
- ايوة , لو عاوز تتجوز بنت معينة , هاتلي اسم امها بعد كده وتعالى , طيب نعمل دور شاي وبعدها نكمل .

قام وأتى بالشاي في دقيقتين فقط كأنه جاهز تمامًا , لم نأخذ أي فرصة للتعليق على أي شيء , رأى عمر الشاي ولم يستطيع المقاومة , مؤمن لا يشرب الشاي فاعتذر , بينما ساورني الشك أنا ونور , وأحس بنا فلم يلح على غير عادته. تركنا نفعل ما تستريح اليه انفسنا , بعد أن رأيت مؤمن سليمًا لم يصبه مكروه , أخذت كوبًا على مهل , نظر الى صابر وكأنه عرف ما دار بعقلي , أخذت رشفة صغيرة , تشجع بعدها نور وشرب من نفس الكوب الذي شربت منه . كان شايًا أصيلًا بالقرنفل حلو المذاق , بعد أ، شربت الشاي أصابتني هلوسة ضحك هيستيرية لا أعرف لماذا , بدأت سخافاتي تظهر معه .

- انت بتشتغل ايه يا شيخ ؟
- دكتور وعالم روحاني
- بالعربي ولا الفرنساوي ؟
- انا اتعلمت العلم ده في جنوب افريقيا .
- وايه اللي رجعك ؟
- بلدي أولى بيا , ولادي لازم يعرفوا بلدهم خصوصًا ان امهم من جنوب افريقيا .

بدأت أضحك بطريقة هيستيرية مرة أخرى .

- يعني زي الدكتور زويل لما رجع بلده عشان يفيدها ؟

تغيرت ملامح وجهه ونظر لي في تحدي .

- على راحتك يا خالد .

عادت ابتسامته الصفراء , مؤمن ينظر إلى في غضب , عمر يبتسم بينما لازال نور يحلق مع الفرعون المريب على الجدار , قمت فجأه وبدأت أعدل من مظهري وملابسي .

- يلا يا شباب عشان اتأخرنا .
- لا يعني ازاي تمشوا ؟ , انتم زي ولادي , باتوا معانا والله , قولهم يا مؤمن والله .
- الله يخليك يا سيدنا .

أردت أن أوقفه وأعود بذاكرته أنه أداة فقط لتسهيل أمر ما وأننا لسنا أقرباءه .

- حسابك كام بقى ؟
- لا لا هتديني فلوس على ايه ؟
- مش عارف بس مجهودك برضو .
- قولهم خلاص يا مؤمن .

دنيت من أذن مؤمن .

- هو هيبقششش علينا ولا ايه ؟

كان نور أول المغادرين بينما ظل عمر صامتاً , وقف نور على عتبة الباب بينما لازال ينظر لصورة الفرعون , عندما وصلت بالقرب من نور سمعت صوته .

- خد رقمي وعنواني يا خالد ظو عشان هتيجي تاني .

كان واثقًا مما يقوله باستفزاز , أخذت الورقة ودسستها في المحفظة , بينما انتظرنا مؤمن الذي كان يتكلم بصوت خفيض مع الشيخ صابر .

قبل أن نخرج من الغرفة همس عمر في أذني .

- هو هيعمل ايه بالورقة اللي فيها أساميناً ؟

تنبهت وبدا على صوتي القلق .

- صحيح يا شيخ انت هتعمل ايه بالورقة اللي فيها اساميناً ؟
- آآه الورق , ماتقلقوش .

مزق الورق قطعًا صغيرة عدة مرات حتى أصبح لا شيء , عرضت أخذ قمامته معنا بالخارج , لكن واجهتني ابتسامة تحذيرية منه بسبب استهزائي واستخفافي به , الآن يجب أن نرحل , أسرع الشباب أمامي وأنا خلفهم الأخير على مقربة منه فناداني .

- خالد , إلا صحيح , مفيش حاجة عندكم في البيت أثرية ؟
- زي ايه ؟
- صندوق مثلًا .
- وانت عرفت ازاي ؟

- أنا أعرف وانا قاعد هنا , الصندوق ده هو السبب في اللي انتوا فيه , انا ممكن أخده أكشف عليه وأريحكم .
- الصندوق ده مش ملكنا , ده ملك الحاج صاحب البيت , لازم نسأله الأول .
- على راحتك بس أكيد هو مش هيرضى .
- أكيد ليه ؟
- لأنه أثري والله وأعلم جايبه منين , انت عارف بقي تجارة الأثار . عمومًا فكر ورد عليا .
- مش هديهولك غير لما صاحب البيت هو اللي يديهولك , وده اللي عندي .

- عمومًا معاك رقمي وعنواني وشاور عقلك يا ابن الناس .

هل يراني أبله هذا المُشعوذ المُختل ! , بالتأ:يد مؤمن من زوده بهذه المعلومة أو عرف من شياطينه , لكنني لن ألإرط في هذا الصندوق خاصةً أنه أثري , لن أخون الأمانة ليبيعه هو بأعلى الأسعار , كانت حجته المسكينة هي الصندوق هو السبب , اذا كان هو السبب فلماذا لم يوضح ذلك أمام باقي الشباب , حيلة ساذجة من مُحتال .

خرجنا من الغرفة او المغارة إن صح التعبير في الساعة الحادية عشر ونصف مساء , مشيت أنا وعمر ونور أولًا ووراءنا الشيخ ومؤمن , عبرنا الفناء الكبير

وكان كل شيء ساكنًا , يبدو أن هذه البلدة كل شيء يسكن بها بعد صلاة العشاء في فصل الشتاء , خرجنا في حالة عكسية لما أتينا عليه , بدأنا نتلفت حولنا لنرى معالم الطريق , الجو شديد البرودة وظلام الليل فاحم لا ترى منه شيئًا , لا تسمع صوت أي من المخلوقات , وكأننا في مدينة الأشباح , فقط حفيف الزرع وتخبط ه ببعضه في الهواء , الإنارة موضوعة على إستحياء كل عدة أمتار للإرشاد إضاءة خفيفة جدًا ترهق العينين عند تبيُن الطريق , مشينا في الممر الطويل للمرة الثانية , عرفنا أن جهة اليمين بها بِركة .

أدركنا أنه البيت الوحيد بين الزرع والترعة , لا يوجد حوله بيوت أخرى , لا شيء على الاطلاق , مشينا

وكأننا مغيبين لبعض الوقت , وقد صفعنا الهواء البارد صفعة قوية , نظرنا لبعضنا نفس النظرة المحملة بالغضب واللوم والندم , ساد الصمنت بيننا لفترة ثم أخيرًا كسر عمر الصمت .

- احنا ازاي عملنا كدة ؟ لو كان حصلنا حاجة محدش كان هيعرف احنا فين !

وكأنني نصف واعٍ تسائلت .

- عندك حق , لاحظتوا ان بيته هو الوحيد اللي في المنطقة دي ؟

خرج نور عن صمته منذ أن رأى صورة فرعون المعلقة .

- لاحظتوا صورة فرعون ؟
- ايوة صحيح يا نور , انت قعدت باصص للصورة طول القاعدة ومنطقتش كلمتين على بعض !
- عاوز أقولكم على حاجة بس متتخضوش , كلكم كانت عينيكم بتقلب لفوق وبتبقى كلها أبيض لما كان بيقول (يا هفاف) !

تذكرت ما رأيته .

- آه شوفتكم كلكم وانت كمان يا نور برضو !
- وانا كمان شوفتكم كلكم بس مرضيتش أخضكم , يا نهار أسود !

أكمل نور .

- الفرعون اللي على الحيطة , كانت عينه بتقلب بالتوازي مع كل واحد فيكو عينه بتقلب , حركة عينه كانت نفس حركة عينكم كلكم والله العظيم .

استكملت ملاحظاتي .

- على فكرة هو وبيقول الكلمة دي حسيت صوابع إيدي بتعمل حركات غريبة في الهوا , الغريب اني مكنتش عارف أسيطر عليها , كأنها كانت بترسم كلام ؟ دده غير اني اترعشت جامد .

عادت فترة الصمت إلى أن قطعها عمر مرة أخرى .

- ارجع ورا يا خالد متسيبش مؤمن لوحده .

قال نور في لؤم .

- وهو مؤمن يتخاف عليه !

رجعت لمؤمن والشيخ صابر , سرت بجانب مؤمن فوجدته يحدثه عن نور .

- أهو كده من زمان يا شيخ نور ده , طول عمره واعي ويخاف على القرش , عايش كده سفلقة علينا .

وجدت الشيخ ينظر إلى متساءلًا .

- انت ايه رأيك يا خالد ؟

- ايه ده هو طلع نور ؟

- مش عارف يا خالد , بس هو شاكك في البيت .
- وليه مقالش الكلام ده واحنا قاعدين هناك ؟

لم يجب مؤمن على سؤالي , تعجبت من موقف مؤمن ونور وهما تجمعهما صداقة سنوات الجامعة والمتشاركين في نفس الغرفة ! .

وصلنا للقهوة التي انتظرنا عندها الدجال صابر , كانت القهوة خالية تمامًا إلا من صاحبها الذي كان بصحبة صبيان يحسبان الإيراد وأشياء أخرى , نظر لنا المعلم نظرة احتقار وصاح بصوت عالٍ .

- استغفر الله العظيم , اللهم انا نعوذ بك من الكُفر , خلص يابني خلينا نروح في اليوم ده .

تجاهل مؤمن نظرات صاحب القهوة ونظر للشيخ .

- طيب يا شيخ لو عرفت حاجة ابقى كلمني واحنا لو حصلت حاجة هكلمك .
- أنا هقف معاكم لحد ما اتطمن انكم ركبتو , والله كنتوا قعدتوا !

لمحنا ميكروباص قادم لعينين سائقه نظرة غير مريحة , أوقفته وسألته .

- اسكندرية يا أسطي ؟

- اسكندرية ؟ دلوقتي !

ثم رحل دون بدون كلمة أخرى , بعدها بدقائق جاء ميكروباص آخر , وعلى الفور وقف مؤمن أمامه .

- اسكندرية ؟

اجابه السائق وقد عزم الاستغلال .

- أجرة ولا مخصوص يا أستاذ ؟
- أي حاجة , يلا يا شباب , سلام يا شيخ .

نظر إلى صابر في سخرية مستترة ولوح بيده .

- سلام يا خالد .

ألحق سلامه بضحكة عالية غير مفهومة , لم أفهم ما الداعي للضحك ولم أرد السلام , فتح مؤمن باب الميكروباص الجرار وأشار إلينا أن ندخل , ثم أردف قائلًا .

- طمنوني عليكم أول ما توصلوا يا مؤمن .
- حاضر يا سيدنا .

دخلت الميكروباص وجلست على أخر كنبة على اليسار ناحية الشباك وورائي دخل عمر وجلس في الناحية الأخرى من نفس الكنبة , في حين جلس مؤمن ونور على الكنبة الصغيرة في المنتصف أمامنا , كنا جميعًا نتابع الطريق من نوافذ الميكروباص وكأننا نبحث عن شيئًا ما .

بدأ السائق في استجاوبنا دون أن ينظر لنا.

- إلا صحيح يا رجالة , انتوا كنتوا فين؟
- وانت مالك يا عم ؟
- انتوا متعصبين ليه ؟ لا صحيح كنتوا فين ؟

بدأ وجه عمر يتحول وأقسم أن يلقن السائق درسًا في الأدب اذا سمع كلمة اضافية , أردت أن أوفر طاقتنا جميعًا لإاجبته لعله يهدأ قليلًا .

- كنا عند ناس قرايبنا .

لم ينته السائق من فضوله وتدخله فيما لا يعنيه .

- اه قرايبكم , كنتوا بيتوا هناك , الدنيا شتا والساعة داخلة على 12 بليل !

- يا عم انت شايفنا عيال صغيرة ولا إيه ! ما تخليك في حالك !

كان هذا رد عمر الذي فقد أعصابه .

نظرت للسائق في المرآة نظرة فهمها جيدًا فأغلق فمه , كانت أعصابي تغلي ولن أتحمل سخافات .

وصلني شعور كل من حولي في تلك اللحظات , الندم والندم ثم الندم , فيما عدا مؤمن فهو معتاد على هذه الأمور , يصدقها ويخوض فيها للنهاية .

تأملت ما حدث منذ أن جاء مؤمن وقت العصر ليقنعنا وعدم تقديري للأمور , نور الذي وقفنا ضده , تأملت ما حدث وكأنه شريط سينمائي , مغامرة

غير محمودة العواقب لأربع شباب جامعيين , يذهبون إلى دجال مشعوذ , في قرية خارج الاسكندرية غير معروفة الاسم , في شتاء يناير القارس ليلًا ,لا يعرف أحد من أهلهم ولا حتى أصدقائهم شيئًا , ماذا لو دس صابر شيئًا لنا في الشاي , وما الفائدة من تقطيع أوراقنا ؟ , إنه يملك الآن أسمائنا واسماء أمهاتنا , يستطيع ان يفعل ما يحلو له ولن ألومه , القانون لا يحمي المغفلين , نظرت إلى الشباب ووجدتهم في مثل حالتي صامتين متأملين , فندهت عليهم مداعبًا , أو هكذا كنت أحاول .

- يا هفاف .

ابتسموا بينما عمر لم يبالي , ظل رأسه مائلًا إلى الشباك , في حين نظر إلى نور ومؤمن , نظر لنا مؤمن الذي كان يجلس امامي مستفسرًا .

- الله! , بدلتوا بلوفراتكم ليه ؟

اجبته بسؤال .

- بدلنا البلوفرات ؟
- أيوة انت وعمر بدلتوا البلوفرات , إنت بقيت لابس الأسود وهو لابس الأصفر .

أخذت أتفحص ما الذي أرتديه , ثم تبادلت أنا وعمر النظرات وإلى ما نرتديه , لقد بُدلت ملابسنا فعلًا ولا ندري كيف ؟ صرخ عمر .

- أعوذ بالله , ايه ده ؟ , والله ما بدلت اللبس , امتي بدلناه ؟
- ولا انا كمان بدلت اللبس ! أنا مش مجنون المرة دي بجد !

أخفض السائق صوت الكاسيت أكثر ليستمع لنا في وضوح .

- في حاجة يا بشوات ؟

في سرعة ولخبطة اجاب نور .

- مفيش حاجة , عاوزين نوصل بس عشان متأخرين .

حاول مؤمن تفسير ما حدث في برود وكأنه يذكرني بشيء نسيته .

- مش انت يا خالد البلوفر الأصفر مكانش عاجبك الصبح , تلاقيك بدلته ونسيت .

اجابه عمر في عصبية .

- هو نسي وانا كمان نسيت يا مؤمن؟

بقيت أنا وعمر صامتين بينما نظر نور لمؤمن بحنق وقال .

- احنا ايه اللي خلانا نمشي وراك !

لم يُعلق مؤمن , بينما ظللت أفكر في أهلي , كنت أفتقدهم وأفتقد احساس الأمان بجانبهم , نظرت

إلي الأرض , كان عمر امامي وأرجله في الممر الضيق الذي تخرج منه او تدخل الميكروباص , فإذا بي أصيح وأنا أنظر إلى نور في دهشة .

- وده ايه ده كمان ؟
- في ايه ؟
- انت بدلت الكوتشي بتاعك مع مؤمن ؟

نظر كل منهما لأرجله , رفع مؤمن رأسه سريعًا بينما ظل نور ينظر إلى الصندل الجلدي الأسود الذي يرتديه , رد مؤمن سريعًا .

- أيوة بدلناهم .

جاء رد نور نافيًا .

- لا مبدلناهمش يا مؤمن !

فاض الكيل بعمر فانفجر .

- بطل كدب بقى ومدافعة عن الراجل الدجال ده ! , حرام عليك ياخي !
- انا مش بدافع بس نور ناسي , ثم انت يا خالد قعدت تتريق عليه وغمزتك بلاش , ثم أيوة احنا بدلناهم يا نور .

تذكرت شيئًا هامًا لتأكيد نفي نور .

- وهو من امتى مقاساتكم واحدة يا مؤمن ؟

صمت مؤمن ولم يرد حتى وصلنا , الآن تغير تفكيري تمامًا من ناحية نور , هل يكون مؤمن

وراء كل هذا ؟ , واذا كان هذا صحيحًا فلماذا ذهبنا للدجال ؟ قطع تفكيري صوت السائق .

- حمدلله على السلامة يا بشوات .

خرجنا من الميكروباص وتركنا مؤمن يدفع الأجرة بينما فتحت البوابة الحديدية ودخلت المنزل وورائي باقي الشباب .

كنا نشعر بالتعب والارهاق الشديد , دخلت إلى غرفتي وأغلقتها ورائي استعدادًا لأخذ قسطًا وافرًا من النوم , بدلت ملابسي ومددت ظهري علي السرير بينما لازال عقلي لم يرتاح بعد من ارهاق التفكير , تذكرت ما حدث اليوم بجميع أحداثه , قطع

تفكيري صوت دق على بابي بينما خرج صوت عمر من الخارج .

- ممكن أدخل يا خالد ؟
- تعالى يا عمر .
- مالك ؟
- مش عارف أنام , قولت أجي احكي معاك شوية .
- تعالى تعالى .

أغلق باب الغرفة وأفسحت له ليأتي بجانبي على السرير .

- مش عارف تنام انت كمان ؟

- كنت قاعد بفكر شوية , اه صحيح انا نسيت أقولكم , مش صابر قالي على صندوق الحاج كمال عشان عاوزو .
- صندوق ايه ؟
- الصندوق الأثري اللي كان في أوضة السنترال قال هو ده السبب !
- طيب ما نديهوله ؟
- تاني يا عمر دجالين وكُفر ؟

تذكرت فتح القفل .

- صحيح يا عمر , الصندوق كان عليه قفل , متعرفش راح فين ؟

- لا , يمكن واقع هنا ولا هنا , خلاص نديه لصاحبه ولا حتى نرميه لو كان هو السبب , ده انت حاطه هنا في أوضتك .
- لا يا عمر مش هرميه , دي أمانة , أنا لا هرميه ولا هديهوله , ده بيقول كده عشان يبيعه بسعر غالي , لما يبقي يرجع صاحبه بقى .

بعد لحظات صمت أكملت ما يدور في عقلي .

- احنا فعلًا غلطنا يا عمر , ربنا يسترها , ربنا يجيب العواقب سليمة , أنا خايف جدًا .
- ربنا غفور رحيم , بس تفتكر راجل زي ده هيرحمنا ؟

- هو كان كويس معانا بصراحة .
- واللي حصلنا يا خالد ؟
- بصراحة يا عمر احنا اكتر اتنين اتريقنا عليه , يمكن اللي حصل ده كان قرصة ودن , خاصةً هو مكانش بيرد , كان بيبتسم بس .
- طيب ومؤمن ونور واللي حصل معاهم ؟

لم أرد وظللت أفكر حتى رحنا في سبات عميق دون ان ندري من الإرهاق .

في هذه الليلة جاءتني ليلى في أحلامي تقف كما كان في الكلية في نفس المكان الذي قابلتها فيه , كان يظهر على وجهها الغضب .

((أنا قولتلك خد بالك يا خالد وانت حر , وقولتلك متثقش في حد , مسمعتش كلامي برضو , مش عارفة أعملك ايه دلوقتي !))

بعدها تحول المشهد تمامًا بعد أن كنت في الكلية أصبحت بداخل قصر ملكي , كنت أرتدي ملابس غريبة أمامي ملك مفتول العضلات يرتدي ملابس فرعونية وشعره أسود مجعد يجلس علي كرسي العرش ويقف أمامه شخص يتلو له رسالة ما .

((إنّ أصوات أفراس النهر في طيبة تُزعج منامي في الشمال , ربما عليكَ القيام بإسكاتهم .))

لم أفهم مغزى الرسالة ووقفت متسائلًا عن مكاني , ولماذا كنت في الكلية وظهرت لي ليلى وبعدها أتواجد هنا في هذا القصر الملكي , بدأت أدرك أنني لست في العصر الحالي وأنني في إحدى عصور مصر الفرعونية القديمة , قطع تفكيري والمشهد يتحول مرة أخرى في نفس القصر ولكن في منطقة أخرى , يقف أمامي ثلاثة أشخاص يبدو أنهم يتناقشون في شيئًا ما . اقتربت خلسة منهم حتي لا اجعلهم يرونني .

- لابد أن نُنهي ما أمرنا به الحاكم "أبو فيس" قريبًا , لقد عرَض علينا خمسة أضعاف ما نتقاضاه من سقنن رع , لقد زودنا كذلك بالأسلحة .

كان هذا كلام أحدهم .

لا أعلم ماذا حدث أو كيف ولكني اصطدمت بشيئًا ما كان على الأرض موجود فأحدثت صوتًا عاليًا أثار انتباه ثلاثتهم , بدأ واحدًا منهم يتحرك ناحيتي وكان على وجهه الغضب الشديد بينما حاولت أن أعود للخلف وأهرب لكنه أخرج خنجر من جيبه الخلفي وطعنني به في صدري , بعدها لم

أرى إلا السواد فقط وصوت عمر يأتي من بعيد , كان مرساة نجاتي على ما يبدو .

- خالد ! فوق يا خالد ! يا مؤمن ! يا نور ! الحقوني هنا !

استعدت وعيي بصعوبة ولكن هذه المرة مختلفة فقد كنت ملقي على الأرض غارقًا في دمائي ويوجد خنجر بجانبي ممتلئ بالدماء , بدأ الظلام يظهر مرة أخرى , لم أدرك ماذا حدث لأنني فقدت وعيي مرة أخرى .

***

(5)

فرعون

- مرحبًا بك في أرض الكنانة , مرحبًا بك يا خالد .

صوتًا فرعونيًا قويًا , يعطيني ظهره وانا خلفه , فرعون أصبح مألوفًا مفتولَ العضلات , قوي البنية , شعره أسود مُجعد , يرتدي ملابسه الفرعونية المعروفة , التفت إلي وهو يبتسم .

- تفضل بالجلوس , امامك ما لذ وطاب فتفضل .

للحظةً ما لم الاحظ أن امامي مائدة طويلة تكاد من طولها تكفي قرية بأكملها , وقفت اتأمل ما أمامي من مأكولات وشراب , يبدو أنه كريم للغاية.

لاحظ أنني سارح في عالم آخر فربت على كتفي وهو يغير تمامًا من لغته الفُصحى .

- مكانش لازم نثق حد يا خالد , اللعنة بتكبر وهاخد روحك انت واصحابك .

تووت .. تووت .. تووووووت

استيقظت مرتعبًا لأجد نفسي على سرير بداخل غرفة في إحدى المستشفيات وهناك ألم أشعر به ناحية صدري , يجلس أمامي نور ومؤمن وعمر نائمين غير مدركين بما حولهم .

عدت لأضع رأسي على الوسادة وأنا أفكر في هذا الحلم اللعين .

استيقظ عمر ليجدني قد أفقت وعدت لوعيي , نهض واقترب مني .

- حمدلله على سلامتك , خوفتنا عليك , انت كويس ؟
- هو حصل ايه ؟
- ارتاح دلوقتي ونام وبكرة الصبح هحكيلك كل حاجة .

تركني وعاد للمقعد الذي كان يستند عليه وعاد لينام بينما لم يتركني عقلي عن تحليل ما حدث منذ البداية , كنت مرتعبًا أن أعود للنوم فيظهر لي فرعون مرة أخرى , دخلت إحدى الممرضات للغرفة , ابتسمت لي وهي تقول .

- حمدلله على سلامتك .
- الله يسلمك .

لاحظت أنها تمسك بمحقن في يديها .

- هو انتي هتحطيلي ايه ؟
- مخدر , لازم ترجع للنوم .
- بس انا مش عاوز كدة .
- فرعون عاوز كدة , بيقولك لسة فيه كلام كتير مخلصش بينكم .

لا أعلم لماذا بعد هذه العبارة وجدت نفسي أستسلم بسهولة , بدأت تضع المخدر ووجدت نفسي أفقد الوعي مرة أخرى .

***

وجدت نفسي مرة أخرى في القصر الملكي , أتى صوتًا من خلفي .

- مرحبًا , مرة أخرى .
- انت عاوز مني ايه ؟ فهمت ان فيه سر مكتوم , قولي ايه هو ؟

رد ولكن باللهجة المصرية العامية .

- مقدرش أقولك , لازم تكتشف لوحدك , انت قربت جدًا .
- قربت من ايه ؟ , انا كنت هقتل نفسي بخنجر غريب !

ابتسم وهو يرد نافيًا .

- متقلقش , مكنتش هسيبك تموت.
- مكنتش هتسيبني ؟ هو انت اللي عملت كدة ؟

أدار ظهره وهو يرد مدافعًا .

- كنت مُضطر , انت مكنتش بتدور لا انت ولا أصحابك على السر , قرصت ودنك انك كان لازم تدور .

عدت بالذاكرة للخلف حيث الموقف عندما كذبوني أصدقائي أنني رأيت مؤمن يتحول أمامي , وعندما

ظهرت لي الفتاة ذو الوجه الدموي . نظر لي وابتسم وكأنه يعلم ما كنت أفكر به .

- بالظبط , أنا , أيوة أنا , ده جزء من السر اللي انت متعرفهوش , انت لسة متعرفش فرعون بوشه الحقيقي , انا اديتك جزء صغير من غضبي بس لما حبستك في الصندوق وخليتك تعرف شعورك وانت ميت .

بدأ يقترب مني وهو لازال يوجه تحذيره ووعيده بأنه ينتظر بفارغ الصبر أن يفصل رأسي عن جسمي في حال لم أبحث عن السر المكتوم .

- قدامك فرصة أخيرة تكتشف السر اللي هيخليني أرتاح , الصندوق يا خالد .

أمسكني من رقبتي وبدأت أختنق وبدأت أشعر بنقص الأكسجين تمامًا , تحول وجهه لهيئة مرعبة وغاضبة جدًا .

- الصندوق ! سامع !

تووووت .. تووووت .. توووووووووت

كان ذلك صوت صفير الجهاز الذي بجانبي وقد بدأ يعطي تحذيرات باقتراب توقف قلبي عن العمل .

هرولت الممرضة بسرعة ووراءها الطبيب واستيقظ عمر ومؤمن ونور على صوت الجهاز , بدأ الطبيب في إنعاش قلبي عن طريق الصدمات الكهربائية , يصيح في الممرضة بسبب شيئًا ما , كان جسدي يهتز كلما

لمسه جهاز انعاش القلب , رغم ذلك كان عقلي يعمل ولا أعلم كيف , قلبي توقف تمامًا ولكن عقلي واعٍ لما يحدث حولي , بعد محاولات كثيرة عاد قلبي للحياة مرة أخرى , يبدو أنني لن أغادر هذه الحياة حتى أكتشف هذا السر الملعون .

مرت بضعة ساعات عُدت بعدها لوعيي مرة أخرى تدريجيًا , وجدت مؤمن يجلس بجانبي نائمًا . اعتدلت وانا اربت على كتفه .

- مؤمن ؟

استيقظ تدريجيًا مقاومًا النعاس , ناظرًا إلي متكلمًا .

- انت كويس ؟ حاسس بحاجة انادي للممرضة ؟

ربت على كتفه كتأكيد مني على أنني بصحة جيدة , استيقظ بعدها عمر .

- انت في مرة هتخلينا نموت من الخضة عليك على فكرة ! , كدة كتير.

رددت بصوتٍ مُتعَب .

- في حاجات كتير طلعنا منعرفهاش , البيت , الأوضة الرابعة , الصندوق , فرعون , صابر الدجال , في حاجات كتير مختفية لازم نعرفها .

نظر كل منهما للآخر متسائلًا على ما أقوله ولكنهم أومأ رأسهم لي متفهمين لما قولته .

مرت الأيام وأخيرًا كُتب لي الخروج من المستشفي والعودة بعدما كذبنا جميعًا عدة كذبات حتى لا يعلم أحد من اهلنا عن ما حدث , حتى أصدقائنا في الجامعة كذبنا عليهم بحجة المرض , عُدنا لنواجه المحتوم الذي ينتظرنا في هذا المنزل .

***

كُتب خروجي رسميًا , سأغادر الآن نحو هذا المنزل لمعرفة أسراره الخفية , وقفت اتأمله من الخارج , يبدو عاديًا , يبدو كأي منزل تراه عينك , هنا لا تكمُن المشكلة , بل ما في داخل هذا المنزل هو

المشكلة الحقيقية , نظر لي الشباب عاقدين العزم على أن نكتشف ما بداخل هذا البيت , دخلنا المنزل وسرعان ما أتى الرد سريعًا , إحدى المزهريات تُرحِب بنا عن طريق وقوعها وانكسارها لأجزاء كثيرة دون لمسها , وجدنا مؤمن من تِلقاء نفسه يمسك هاتفه ويحادث أحدً ما .

- ألو ؟ , السلام عليكم يا شيخنا .

وقفنا متعجبين مما فعله مؤمن مرة أخرى من نفسه , تذكرت الحلم وليلى عندما ظهرت لي وهي غاضبة , وَجدنا مؤمن يفتح مُكبر الصوت .

- ازيكم يا شباب ؟

لم يرُد أحدً منا عليه فبدأ بالضحك مرة

أخرى وهذه المرة كانت ضحكة سخيفة .

- طيب يا شباب , أنا هبدأ أقرا وانشاءالله هتكتشفوا المستخبي في البيت ده .

بدأ في ترديد عبارات غريبة وذكر مرة أخرى نفس الاسم الذي ذكره ونحن معه, بالتأكيد تذكرتوه , (هفاف) , بدأنا نرتعش مرة أخرى من وقع هذا الإسم , ثم قام بترديد عبارات غريبة مرة أخرى وأنهي كلامه وهو يقول .

- كده أنا خلصت خلاص , الأرواح في البيت باين إنها غضبانه جدًا عليكم , وباين عليكم في حاجة عملتوها زعلتهم .

رد عمر في غضب شديد .

- انت دجال واحنا مش مصدقينك , احنا غلطانين اننا بنصدق مؤمن .
- كدة انت غلطت يا عمر , متستعجلش على الحكم .

ثم بدأ يضحك مرة أخرى وأغلق المكالمة .

نظرنا جميعًا لمؤمن بغضب , نظر لنا وكأنه يبرر فعلته .

- كُنا محتاجينه , خلاص خلاص , هو مش قال انه خلص خلاص ؟

رد نور .

- يا سلام ! , وبالنسبة للعفاريت اللي غضبانة علينا دي ايه ؟ , نتطمن لكل حاجة بيقولها ؟

لم يرد وبدأوا في التفرق نحو غرفهم , تركوني لكي أستريح , مددت ظهري على السرير وانا اعود بذكرياتي للخلف , لم تغفَل عيناي , نهضت لأتوضى وأصلي لكي يسامحنا الله على ما فعلناه , وجدت جسدي متجمد , لا أستطيع الحركة , وكأن قدماي لا تساعدني أو تتلقى الأوامر لكي تتحرك , ظللت أردد القول (يارب .. يارب .. يارب) , أمسكت

بهاتفي لأجدها الساعة الثالثة فجرًا , كيف مر الوقت بهذه السرعة ! فتحت قائمة المكالمات لأوقظ أي أحدً مِنهم , هاتفت عمر أولًا لأجد الهاتف يعطيني (خارج نطاق الخدمه) , مرحبًا مرحبًا , ماذا يحدُث , حاولت أن اهاتف بعدها نور ولكن هاتفه كان مغلقًا , ما الذي يحدُث ؟ , هاتفت بعدها مؤمن ولكنه لا يرُد , لماذا لا أحد يجيب ! وجدت بعدها هاتفي يرِن من رقم غريب , ترددت في الرد ولكن في النهاية رددت .

- ألو ؟

صوت أنفاس مرعب وغريب يأتيني من الناحية الأخرى , شعرت بالخوف الشديد فأغلقت الهاتف , لكنه عاد ليرِن مرة أخرى , رددت مرة أخرى .

- انت مين ؟ , ألو ؟

أتاني الرد من الناحية الأخرى بصوت فتاة .

- انت زعلت فرعون , وفرعون قرر إنه ينزل الجحيم عليك .

ثم أغلقت المكالمة , عدت لأتصل مرة أخرى ولكنه كان يعطيني (خارج نطاق الخدمة) , ماذا فعلت ؟ لقد وعدته باكتشاف السر فماذا فعلت كي يغضب؟ , لم أنتظر كثيرًا لأجد باب غرفتي يفتح

بطريقة مرعبة على مصرعيه , وبالخارج يقف شخصًا طويل القامة يمسك بصولجان وعيناه تلمع في وسط الظلام , ضوء القمر يُظهر وجهه المخيف وعيناه التي تومض رعبًا , اقترب بخطى ثابتة نحوي , لا أستطيع تحريك قدماي , لا أستطيع الهرب .

- انا وعدتك اني هكتشف السر .

أتى الرد غاضبًا .

- وانا صدقتك , لكن انت خونت العهد , وانا قررت أنتقم .

بدأ يقترب للغاية مني وأمسك برقبتي وبدأ يخنقني .

تنتن .. تنتن .. تنتن .. تنتن

كان صوت المنبه الذي أنقذني , هل كان هذا حلم آخر ؟ لماذا أصبحت أحلامي هكذا ؟

استيقظت ونهضت لأصلي ركعتين لله , فتحت بعدها الدولاب الخاص بي , أمسكت بالصندوق لأفتحه , ماذا تخبئ بداخلك من أسرار ؟ ماذا بداخلك يجعل حياتنا من جحيم هكذا , أمسكت بالخنجر الذي طعنت به نفسي , تأملته جيدًا وهو غارق في الدماء التي تجلطت وتحول لونها للأسود , ثم بعدها أمسكت باقي المُقتنيات , جميعها أشياء ليس لها قيمة , أو هذا ما كنت أعتقده , أمسكت بإحدى الأوراق , كانت طلاسم , رأيتها من قبل , نجوم ودوائر وكلام غريب يشبه اللغة السيريالية ,

عدت لأضعهم بداخل الصندوق ثم أعدته للدولاب مرة أخرى .

لا أعلم لماذا بداخلي قررت أن أنظر لمستقبلي اولًا وقررت أن اكتشف هذا السر فيما بعد , خرجت من غرفتي متجهًا للمطبخ لأجد نور وعمر ومؤمن يحضرون الطعام , يبدو أنهم كانوا قيد تنفيذ احدى المفاجآت لي ولكني أحرقتها .

- صباح الخير يا شباب ؟

رد مؤمن متفاجئًا .

- ايه ده ؟ انت صحيت امتي ؟ كدة حرقت المفاجأة ؟

- لا , لا , خلاص هخرج وهعمل نفسي متفاجئ أهو .

خرجت لأجلس على المنضدة , أنتظرهم , كنا وصلنا لمرحلة اليأس أن تعود الفرحة لنا , خرجوا بالطعام الشهي وكأننا كنا ننتظر مثل الذي حدث كي تعود لنا أجواء البهجة والفرحة .

جلسنا حول الطعام نأكل ونتكلم ونضحك سويًا , متناسيين ما مررنا به , أكد نور مرة أخرى .

- بصوا بقى , انهاردة أخر يوم في الصياعة , من بكرة هنذاكر بجد , نأكل ونلحق نخرج شوية عشان نبقى براحتنا ونلحق نرجع بدري .

لم نُمانع , كنا نحتاج إلى الترفيه وبشدة , قمنا لستعد للخروج , وفي هذه الأثناء هممت بالخروج من غرفتي لاحضار شيء ما نسيته بغرفة الاستقبال , رأيت نور يحمل الصندوق الخشبي الأسود فوق رأسه ويمشي بثبات نحو الحمام وينظر إلى في غل رهيب , نظرت له في ذهول وناديته بصوتٍ عالٍ فلم يلتفت إلي ولم ترد ندائي , ولكن ما ان دخل نور الحمام أمام عيني , حتى رأيته يخرج من غرفته يُمسك بقميص خاص به , ثم قال.

- عاوز ايه يا خالد ؟

عندها أحسست ببلل لم أسيطر عليه بنصفي الأسفل , حاولت أن أسيطر على ما تبقي مني

من أعصاب , لكن بقيت واقف مذهول ولكن لم أريد أن يرى نور ما حدث لي .

- مالك مبلم كده ليه ؟
- كنت عاوز حاجة مش فاكرها .

تركتها مُسرعة ودخلت غرفتي و أغلقت الباب , فتحت الدولاب ورأيت الصندوق في مكانه , انتابني الفزع لكن لم أرد أن أعكر مزاجهم الذي يبدو أنه سوف مؤقتًا , هل صابر دجال على حق ؟ أم أنه أرسل من يخيفني ورائي عقابًا لرفضي تلبية طلبه ؟ أم هذا فرعون يمارس ألاعيبه معي ؟ .

خرجنا في السابعة مساء , ضحكنا كثيرًا حتي أنني تناسيت ما حدث مؤقتًا , ثم عدنا مرة أخرى للمنزل , عقَب نور .

- اول مرة أتبسط من بدري كده , انا عاوز أسهر للصبح .

رددت سريعًا .

- لا , انتوا باين عليكم رايقين وانا تعبان وعاوز أرتاح .

دخلت إلى غرفتي وفي صوت اغلاق الباب والنور حاولت أن أسترخي مستلقيًا على السرير , شاخصًا بعيناي تجاه الحائط , أنظر في اللا شيء , في المجهول

, فاجأني صوت من ورائي مباشرة ناحية اليمين , شديد القرب بعطسة شديدة , فزعت واقفًا في مكاني ذهبت حيث أضيء نور الغرفة من جديد , فتحت الباب ناظرًا من جديد وإلى جميع أركان الغرفة , لا أحد ! .

ظللت أردد ((الله أكبر .. الله أكبر .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .))

حاولت إقناع نفسي بأنه وهم بلا شك , الشك الذي لا يفارقني طوال الفترة السابقة , لكني لمست يدي اليمنى وخدي الأيمن أثار عطسة فأقنعت نفسي بأنه شيء آخر , ربما عرق , لم أغرق باب الغرفة وتركته مواربًا ليدخل نور غرفة الإستقبال , أغلقت النور

مرة أخرى وانا أحاول النوم واقرأ القرآن , حاولت أن أتذكر راحة البال , دقائق وخرجت من الغرفة لأرى ماذا يفعل الشباب , فوجدت نور ومؤمن في غرفة (السنترال) , وجدتهم يتحدثون عن إحدى الفتيات التي قابلها نور وأنه معجب بها .

عدت لأستلقي على السرير مرة أخرى , أنظر لسقف الغرفة , لم أستطع النوم وقتها , إلى أن رأيت هالة بيضاء صغيرة تخترق الظلام , ظل حجمها يكبر ويكبر , إلا ان ابتلعتني بداخلها , كان بدخالها راحة بال شديدة ومريحة , رحت في سبات عميق لم أحسب بعده المدة التي نمت بها .

استيقظت في صباح اليوم التالي مبكرًا على صوت مؤمن وهو يقول بصوت عالٍ (يا هفاف.. يا هفاف..) , يشد ستائر البيت حيث وصول الشمس الدافئة للداخل , استيقظ قبلنا وذهب لشراء الفطور وأعده وظل يوقظنا من راحتنا حتى ذهب النوم وابتعد , شعرت بالحياة مرة أخرى أخيرًا , تناولنا الإفطار وذهبنا للجامعة كي نأخذ جداول الامتحانات وأرقام الجلوس , في ذلك اليوم وعند رحيلنا جميعًا رأيت ليلى مرة أخرى , كان قد مر بضعة أيام عن أخر لقاء بيننا , كانت تقف مع شاب أسمر متوسط القامة , جيد المظهر , كانت مبتسمة بينما كان يتكلم معها , شعرت بالحزن والسعادة معًا مختلطين , السعادة لأنني رأيتها اليوم وهي سعيدة ,

وحزين لأنني كنت أتمنى لو كنت مكان هذا الشاب , لابد أن أمضي في حياتي الآن , نظرت لها نظرة أخيرة ثم رحلت وراء أصدقائي , لاحظت أن أصدقائي في الجامعة ينظرون لي نظرة مريبة أخرى , لم أهتم ورحلت .

أنهينا يومنا الدراسي ورجعنا سويًا للمنزل , أتينا بالمنضدة التي تحمل التلفاز حتى نذاكر عليها جميعًا في غرفة الاستقبال , وبدأنا نذاكر , ولكن كعادة أغلب الطلاب المغتربين , تأتي المذاكرة أولًا في قائمة اولوياتهم عندما يتحدثون لأهلهم , لكن في حقيقة الأمر آخر شيء يشغل بالهم , او قد لا يشغله من الأساس , ظللنا نتحدث من السادسة مساء وحتى

الساعة العاشرة ولم نشعر بذلك , بدأ نور ينظر لمؤمن في استفزاز .

- بس الله ينوَر يا مؤمن , الدجال بتاع من آخر مرة واحنا مفيش حاجة تاني حصلت , شغل عالي .
- بطل استفزاز يا نور وخليك في حالك .
- لا يا مؤمن , بتكلم بجد .

حاولت أن أضع حدًا ونهاية لهذا النقاش.

- بلاش السيرة دي دلوقتي , ممكن نذاكر يلا يا حلو انت وهو ؟

بعد وقت قليل دقت الساعة الحادية عشر , لم نكن تناولنا الغداء , في برد الشتاء لم يُعد أحد منا وجبة خفيفة , الجميع تملص وفضلنا الجوع والإعياء على مجهود يتبعه شبع , قلت بيأس .

- انا هنام .

أكمل عمر وكأنه يستعد لشيء ما .

- أنا كمان هعمل تليفون .

القى الجميع الاقلام التي تصاحبنا والتي تحمل كثيرًا من الاحلام معها , وذهب كل منا لغرفته , هممت بالنوم من الارهاق والتعب , لكن لم أغلق الباب , واربته كما فعلت بالأمس بعد سماع صوت العطسة ,

العطسة التي لا أريد أن اتوقف عندها إلى الآن تمامًا كالرجل الذي كان يحمل الصندوق أمامي وكان متمثل في هيئة نور .

بعد دقائق سمعت صوت الخلاط وهو يصدر ضجيجًا , لم أنو القيام من شدة التعب والارهاق وأحتاج للنوم , لكن لم أنجح في النوم وانا اشعر بالجوع والعطش الشديد , نهضت وفتحت الباب المُوارب , مصدر الضجيج هو مطبخنا العزيز , تسللت إليه , عندما وصلت إلى المطبخ وجدته خاويًا ! الخلاط فارغ وبه بعض أثار البرتقال المعصور وبجانبه كوب فارغ او شبه ذلك , لابد أنه أحد الشباب , ذهبت إلى غرفتة نور ومؤمن وفتحت الباب فجأة وصحت .

- إنتو يا كلاب .

وقفت مكاني للحظات , كان نور يتصفح الانترنت بينما مؤمن يتحدث في هاتفه تحت الغطاء !

سألني نور وهو لايزال يتصفح مواقع التواصل الاجتماعية ولا ينظر إلي .

- صوت الخلاط صدعني , انت عملت أكل ولا ايه ؟
- اكل ايه ؟ , الخلاط جواه برتقال معصور وفي كوباية جنبه فاضية , مش لما تشربو حاجة تغسلو الحاجة اللي شربتو فيها ؟
- برتقال ايه ؟ انا معملتش برتقال !

- ازاي , والخلاط اللي جوا ده مين اللي عصر فيه برتقال ؟

ذهب ثلاثتنا إلى المطبخ من جديد نتفحص المنظر , كان الخلاط موجود , وبداخله أثار برتقال معصور منذ لحظات. بدون أن نتحدث أجمعت عقولنا أنه عمر , اتجهنا لغرفته وفتحنا الباب دون استئذان لنجده في شجار عنيف مع إحدى صديقاته . فسألته .

- عمر .. انت شربت عصير ؟

اشار بيده بالنفي فكررت سؤالي مرة أخرى .

- يعني معملتش عصير .

بدا في حالة عصبية وقال في حدة .

- ثانية واحدة , والله ما عملت حاجة خالص والنبي خدوا الباب معاكم.!

أغلقت الباب ثم نظرت إليهم في إصرار وتساؤل .

- أمال مين اللي عمل البرتقال ؟
- حاجة غريبة فعلًا .

فتحنا الثلاجة وأخذنا نتفحص كل شيء , فوجئنا بنقص عدد البرتقالات الموجودة , نعم فكيس البرتقال لم يقترب أحدًا منه منذ الأمس عندما اشتريناه .

كررت سؤال لهم .

- يا جماعة حد أكل برتقال منكم ؟

جميعهم أجابوا .

- والله لا !

أمسكنا بالكيس لنعد المُتبقي , الكيس كان به عشر برتقالات والموجود به ثمانية فقط , نظرنا إلى بعضنا في ذهول . الجميع يؤكد (والله ما أكلتش حاجة)!

دخلت غرفتي واغلقت بابي , بدأت في البكاء للمرة الأولى منذ فترة ! شريط أسوأ فيلم في حياتي يمر أمامي للمرة المليون , مؤمن والشمعة , الساعة , القميص , صابر الدجال , المزهريات , تبديل الملابس , فرعون ومطارداته , الخنجر , الكوابيس ,

الرجل والصندوق , العطسة والآن المطبخ والخلاط ! متى سينتهي هذا الفيلم السخيف ؟

بعد مرور حوالي ساعة من الزمن , لم أدر وقتها كمية الدموع التي سالت مني , جاءني عمر يطرق الباب ففتحت له ودخلت , لم أستطع النظر إليه لتورم عيناى , دخل الغرفة ثم جلس بعيدًا عني في هدوء .

- ليه يا خالد بتبكي بس ؟ , أنا شاكك ان نور ومؤمن هما اللي عملوا كده وبيكدبوا علينا .
- لا لا يا عمر , انت ناسي البلوفرات بتاعتنا , بعدين ايه عرفك اني ببكي؟
- سمعت صوتك .

أخبرته عن الرجُل والصندوق والعطسة , لم يُعلق , لمحته ينظر لي في زهو غريب , ثم ضحك ضحكات على صوتها تدريجيًا فكانت مفاجأة لي , نظرت إليه فوجدت ملامحه أقرب لشيطان , توقف عن الضحك , وفي لحظات كان وجهه مُلتصق بوجهي , نظر إلي في حدة فارتعبت , وسرت في جسدي قشعريرة غريبة , ركز في عيني للحظات وجاء صوته كالفحيح يتوعدني .

- أنا مش همشي , الدجال بتاعك ضايقني , المرة دي هيسمعوك , المرة الجاية مش هيطلع صوتك يا خالد .

أغمضت عيني وصرخت بأعلى صوت لي منذ أن جئت إلى هذه الأرض , فتحت عيني فلم أراه , جاء الشباب مهرولين واولهم عمر الذي سأل في فزع .

- ليه بتصرخ يا خالد !

كان يردد كلام الرجل مرة أخرى ولللحظات لم أفهم شيئًا , كيف يردد نفس الجُمل ؟ نظرت إليه في ذهول وصرخت أكثر حتى فقدت الوعي وفت غير معلوم .

أفقت على سريري مُستلقي عليه فوجدت الشباب حولي قلقين , أردت أن أقاوم نفسي وأنظر لعمر فلا ذنب له لما يحدُث , فلم يكن هو أو نور في كل

الأحوال , وهذا ما يريده فرعون ومن معه , التفرقة , قال عمر في خوف وقلق .

- الحمدلله على سلامتك يا خالد , مالك بس ؟

استفسر مؤمن في جدية .

- هو في ايه يا خالد ؟

في حين انتاب نور الفضول .

- انت شكلك كان مفزوع , ايه اللي حصل تاني ؟

رويت لهم كل ما حدث , تشبه هذا الرجل بنور وعمر , ظهر الرعب على وجههم للمرة الأولى , قام

نور ومرمن إلى غرفهم بعد مواساة شاردة , وبقي عمر .

- والله يا عمر ما عارف أقولك ايه ؟
- تعالى نتقوم نتوضى ونصلي يا عمر.

كنت أقاوم خوفي كلما رأيت نور و عمر واقرأ القرآن سرًا , فأنا لا أدري من منهم الحقيقي , أشارت الساعة إلى الثانية بعد منتصف الليل , حينما ذهبنا إلى الحمام وقابلنا مؤمن يرد أن يتوضأ هو الأخر .

شعرت بشيئًا ما يُمسكني من رقبتي وانا اسجد , أخبرت عمر فأكد أنه مجرد وهم وحالة نفسية .

- خالد .. بلاش تركز كدة في كل حاجة عشان عقلك الباطن هيصورلك حاجات مرعبة اكتر .

بعد الصلاة تركني عمر مع أفكاري , هذا هو العقاب الإلهي للجوئنا لدحال مشعوذ , الشيخ صابر كما يسميه مؤمن , هو من وراء كل هذا العبث الذي نعيش به , صليت الفجر ورددت (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) عددًا كبيرًا من المرات , حتى أعلنت ساعة الوقت أننا في التاسعة صباحًا , أُرهق ذهني وضلت جميع حواسي طريقها للنوم أو الراحة المؤقتة , طالما لن أنام سأذهب للجامعة , عقدت العزم على الذهاب للجامعة مرتديًا نظارتي

السوداء , حتى لا يرى أحد احمرار عيني وتورمها , والذي سيؤكد لكل من سيراها أني قد بكيت لساعات متواصلة , تمنيت بشدة رؤية ليلى وتعمدت أن أذهب إلى نفس المكان الذي قابلتها فيه من قبل , لم أستطع كتم إعلان فرحتي عندما رأيتها مرة ثانية , بالرغم من كل ما أمر به من أحداث , ناديتها وكأني أستنجد بها في صرخة صادقة .

- ليلى .

كانت ابتسامتها مختلفة هذه المرة خالية شبه خالية من الخجل ولكن ألاحظ فرحة بعينيها تريد أن تخفيها .

- خالد .. عامل ايه ؟

أجبتها بنبرة حزينة رغم فرحتي لرؤيتها .

- الحمدلله على كل شيء .
- يارب تكون بخير , في حاجة تاني حصلت ؟ مالك ؟ اتفضل اقعد .
- سيبك من الكلام ده دلوقتي , انتٍ مستنية مروان ؟
- أنا بحب المكان ده تحديدًا مش عارف ليه , يمكن بحب الشجرة دي عشان كبيرة وقديمة , مش عارفة , بس مش مستنية مروان هو معندهوش محاضرات انهاردة .
- يعني انتِ جاية تقعدي مع نفسك هنا ؟

- يعني ... ممكن جاية أشوفك وأتطمن عليك برضه .

رغم علمي أنها لم ولن تكون لي , لم أرتبك يومًا في حياتي مثلما ارتبكت هذه اللحظة وتسائلت , هل تشعر تجاهي بالراحة التي أشعر بها تجاهها ؟ أدرك انه ليس حبًا بالتأكيد ولكنه انجذاب وفضول.

- تشوفيني أنا ؟ بس مكانش فيه معاد !
- الأرواح بتتقابل , لو مضايقاك بلاش , بس أنا بصراحة كنت عايز اتطمن عليك .

ابتسمت لإيماني بتلاقي الأرواح وتنافرها , ثم تذكرت ما أمر به .

- ليلى .. في أحداث كتير حصلت وحلمت بيكي !
- بإيه بقى , إحكيلي .
- والله يا ليلى مش عارف أقول ايه ! بس في الحلم كنتي بتقوليلي انا قلتلك خد بالك من نفسك , ومش عارفة هقدر أعملك ايه ! كإنك حاسة بيا .
- حصل ايه يا خالد ؟
- بلاوي .. الموضوع بقى علني , بيعملوا عصير وبيظهروا وانا مش عارف أنام ولا آكل ولا أعيش أصلًا .
- هما مين اللي بيعملوا عصير يا خالد ؟

- العفاريت يا ليلى والله , عملوا عصير برتقال وفي واحد ظهر .

سرحت ليلى بتفكيرها وكأنها كانت تحادث نفسها .

- هو يحبه .
- هو مين اللي يحبه ؟
- أبويا يحبه . ما يمكن هو اللي عمل كدة .
- ازاي يعني يا ليلى وهي مسافرة , وهيدخل ليه الشقة ويمشي من غير ما يقولنا !
- آه صحيح , واللي ظهر ده شكله ايه؟
- على شكل عمر .. ونور كمان .
- مممممم

- بصراحة الموضوع زاد بعد ما رُحنا للدجال صابر , ربنا يسامحنا .

تغير وجه ليلى وملامحها تمامًا لغضب لم أره عليها من قبل ونظرَت للأرض ثم نظرت لي نظرة قاسية لم أجد لها مبررًا .

- خالد .. بلاش يا خالد .. أوعدني لا تكلمه ولا تروح ليه تاني يا خالد , مش هييجي من وراه إلا شر .
- لا والله من غير وعود , انا بستغفر ربنا ليل نهار , وده درس عُمري .

بدأت ملامحها تهدأ وحاولت أن تبتسم .

- طيب انا هسيبك دلوقتي لازم أمشي .
- ليه ؟ خليكي معايا شوية !
- معلش هشوفك تاني .. خلي بالك على نفسك .
- حاضر .

تمنيت أن أكون معها أينما ذهبت , نوع نادر من النساء , تحتمل الحياة في وجودها .

غادرت الجامعة مُتجهًا للسوبر ماركت , اشتريت بعض الأغذية الجاهزة وذهبت للمنزل , بعد ان فتحت الباب وأغلقته من الداخل وجدت الشباب جالسين أمام التلفاز , صامتون على غير العادة , ما بالهم يعيشون في عالم آخر هكذا ؟ هل حدث شيء

آخر في غيابي ؟ لا لن آبالي , ذهبت إلى غرفتي مباشرة ولم ألقي التحية , دخل ورائي مؤمن بخطوات سريعة ومن وراءه عمر ونور , وقفا على عتبة الباب وانا بالداخل أمسك بمقبض الباب لأغلقه .

قال مؤمن بحزم .

- ايه ؟ داخل على أصنام ؟

اجبت بغضب .

- بص يا مؤمن .. بصوا كلكم , فاضل على الامتحانات اقل من شهر , ومش فاضي

لشغل العفاريت ده , أنا هنام وهصحى أذاكر ومش عاوز أسمع صوت حد فيكم .

انهيت التهديد المباشر وأغلقت الباب بوجههم بشراسة , كان عقلي الباطن يدافعى عن مستقبلي , وهديتي لأبي , لم أسمع أي تعليق من أحد منهم , انصرفوا في صمت , بعد قليل دخلت الحمام لأتوضأ وأُصلي , بعد أن أنهيت صلاتي تاركة باب الغرفة مفتوحًا وجدت عمر يقف أمامي مُنتظراً , اعتدت بعد أن رأيت عمر ونور على غير هيئتهما أن أسمى كلما رأيتهم , فإن كانا هما فسوف يُكملان حديثهما , وإن كانوا غير ذلك سوف يتلاشيان كما فعلا من قبل .

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم , بسم الله الرحمن الرحيم .
- مالك يا خالد ؟
- بص يا عمر أنا مخنوق جدًا من الحوارات اللي بتحصل , وامتحاناتي فاضل عليها شهر , لو شلت مادة هتفضل وصمة عار , لكن أنتم تشيلوها للسنة الجاية عادي مش فارقة معاكوا , لو سمحت يا تدخل وتقفل الباب يا تتفضل عايز أذاكر .

أجابني ضاحكًا .

- طب أنا هتفضل يا خالد .

أغلقت الباب وجلست على السرير المقابل لي بعد أن أحضرت جهازًا لسماع الموسيقى , رتبت أوراقي وكتبي لأبدأ المذاكرة ثم رن الهاتف , لم يظهر الرقم الذي يرن , ترددت في الرد ولكني أجبت في النهاية .

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته , مين ؟

لم يكن هناك رد في الناحية الأخرى , ما هي إلا صوت أنفاس يبدو من سماعها أن المتحدث غاضب من إلقاء السلام عليه , لم اخاف هذه المرة بل تشجعت وبدأت أقرأ قرآن بصوتٍ أعلى وصوت الأنفاس يتصاعد ثم أغلق المكالمة , شعرت بنشوة الإنتصار , ولكن ما هي إلا لحظات حتى

جائني الرد سريعًا , انقطاع كامل للكهرباء تبعه أصوات صراخ شديدة لم تتحملها أذني , بدأت الأصوات تعلو وتعلو حتي كادت رأسي تنفجر ففقدت الوعي , مرة أخرى .

***

ظلام دامس , لا أرى شيئًا أمامي , لكن بعيدًا رأيت ضوء , انها نيران , شعلة نيران , تحركت ببطيء ناحية مصدر النيران , أمسكت بالشعلة كي تضيء لي الطريق , بدأت أرى تدريجيًا المكان الذي بداخله , غرفة ملكية بدرجة امتياز , جدرانها ذهبية وعليها بعضًا من النقوش الفرعونية , لم أستطيع وصف ما أراه لأنه كان لا يُوصف ,

قطع هذه اللحظة وجمالها صوت فتح باب الغرفة ببطيء فهرولت ناحية إحدى الزوايا مختبئًا تاركًا شعلة النار , لم أرى جيدًا ولكني لم اكن أعمى تمامًا , ثلاثة من الخدَم يتسللون بهدوء داخل الغرفة , للحظات لم أفهم لماذا أنا موجود هنا بداخل هذه الغرفة , ولكن قطع تفكيري إحدى الخدَم يُخرج خنجر وقد ميزته وسط الظلام لإمساك احدهم بشعلة نار جعلت رؤية ما يمسكه الخادم سهلًا للغاية , وفي لحظة واحدة طعن الخادم أحدً ما ينام على سرير , سرت القشعريرة بداخلي للحظات وكان يتملكني الرعب الشديد , صرخ الرجل الذي ينام على السرير من الألم , والذي استطعت تمييز صوته بعد ذلك , مفتول

العضلات العظيم , القوي , فَرعون , كان يتألم والخنجر يطعنه خلف أذنه , نهض وحاول أن يشتبك مع أحدهم ولكن ردود فعلهم كانت سريعة للغاية , اشتباك فرعون مع أحدهم سمح للآخر بتوجيه ضربة قوية في ظَهر فَرعون بعصا قوى للغاية يُدعى (بلطة) جعل فرعون يسقط أرضًا , كنت أتعجب من قوة تحمل فَرعون , انهالوا عليه بالضرب الشديد ولكنه كان يقاوم والدماء تسيل من تحت أذنه , نهض فَرعون و استطاع أن يُسقط أحدهم أرضًا أخيرًا ولكن أتت له طعنة قاضية من أحدهم مستخدمًا نفس الخنجر الأول , كانت الطعنة قاتلة ولكنه أبى الاستسلام وحاول أن يصيب الذي يُمسك

بالشعلة ولكن في هذه اللحظة ضُرب بشدة على رأسه بالبلطة من أحدهم , هَشمت رأسه تمامًا , سقط شجاعًا رافضًا الاستسلام , وجهوا له بعض الضربات القوية واللكمات الأخيرة قبل هروبهم وتركهم اياه خلفهم مقتولًا ساقطًا ولكن بشجاعة .

تأكدت من هروب الخَدَم ونهضت واتجهت بحذر ناحية فَرعون , شعرت بالخيانة كما شعَر هو بكل تأكيد قبل موته , نظرت له وقد كان مُغمض العينين مصابًا بشدة في الجهة الأمامية من رأسه , نظرت له مُشفقًا وكأن مشاعري الإنسانية استيقظت الآن في هذا التوقيت الخاطيء ,

سرحت بشدة ولا أعلم لماذا , فجأة فتح عينيه غاضبًا ممسكًا رقبتي قاصدًا أن يخنقني , كانت ملامح وجهه تبدو مرعبة للغاية , قال في غضب .

- انت ميت خلاص يا خالد , وقتك انتهى معايا والفرصة خلصت , هتتقتل بس مش أنا اللي هعمل كدة.

بدأ يضغط بشدة وعلامات الغضب مُستمرة على وجهه وأنا أحاول المقاومة , أشعر بقلبي يتوقف , الأكسجين مرة أخرى بدأ يتوقف عن الوصول لجسمي , بدأ فَرعون يصرخ في وجهي , نهضت بعدها مفزوعًا صارخًا في حالة عصبية مشدودة بينما يحاول عمر ومؤمن ونور تهدئتي, كنت أردد

كلمة فرعون فقط , وأنظر يميني ويساري خوفًا من أن يكون لازال موجودًا , بدأ عمر يفيقني من حالة الصدمة التي كنت بها .

- خالد ! إهدى يا خالد مفيش حد غيرنا هنا !

بدأت نوعًا ما أهدأ , شربت كوب ماء وبعدها ظللت أردد .

- هيقتلني خلاص , فرعون قرر يقتلني .

رد نور في تساؤل .

- فرعون ايه اللي هيقتلك ؟

أكمل بعدها عمر بعدها .

- أيوة صح , فرعون مين اللي هيقتلك ؟ خليك مؤمن بربنا يا راجل .

لم أجيبهم من التعب المستمر لي وفضلت الصمت والسكوت , أدركت أنني من الممكن أن تكون أفكاري تخبطَت بمجر وقوع أي شيء , أصبحت هشًا مشوشًا , أدعو الله قدر استطاعتي أن يقويني ويريني الحقيقة , أخرجوني من الغرفة وبدأوا المحاولة في تشتيتي عن ما حدث , أخذت أنفاسي من جديد وبدأت أعود لحالتي الطبيعية , بينما قرروا جميعًا أن يجلبوا روح الدراسة الآن , قال مؤمن في حماس .

- يا جماعة , عشان ننسى اللي حصل ده , هنقعد كلنا نذاكر دلوقتي عشان خلاص الامتحانات على الأبواب .

وافقه عمر ونور الرأي بينما أومأت رأسي لهم موافقًا .

بدأنا بنصف ساعة من الاستراحة في الحديث عن أمور عامة واحتساء الشاي إلى أن انتهى الوقت , لنبدأ الساعة الأولي من ساعات المذاكرة التي تسبق الامتحانات مباشرة , لعلنا نحصل قدرًا كافيًا من العلم يؤهلنا لتجاوز السنة الدراسية بسلام.

(6)

تحذيرات لَيلية

بعد دقائق معدودة سمعنا صوت الثلاجة يفتح ويغلق عدة مرات في عنف , كائن ما يبحث عن شيء ما , صوت فتح إحدى أدراج المطبخ بعنف , صوت الخلاط يعمل , الصوت يعلو ويعلو , سكت قليلًا ثم عاد الخلاط يعمل .

مررنا بلحظات عصيبة للغاية , كان الصوت مُستمرًا , إذا ليس عمر او مؤمن او حتى نور , كلنا سويًا الآن , نظرنا إلأى بعضنا لنؤدي نفس المشهد , نؤدي نفس الحركة دون مساعد مخرج يوجهنا , صوت عمر مستعيذا بالله بينما من يستخدم الخلاط ما زال مستمرًا مستمتعًا كما يبدو , تمالك عمر نفسه .

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم , بسم الله الرحمن الرحيم .

وبدأ في ترديد آية الكرسي , وأصوات المطبخ ترتفع وتعلو , ظل نبرة صوته تعلو بقوة وحزم , أشياء تتكسر , كلما يرفع عمر صوته يرتفع صوت المطبخ صخبًا.

صوت عمر .. صوت المطبخ .. صوت عمر .. صوت المطبخ .. صوت عمر ..

هنا تدخل مؤمن بقوة وحزم .

- الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر ..

توقف عمر وظل هند يقترب شيئًا فشيئًا وكأنه يتجسس على من فيه , نادى عمر محذرًا .

- تعالى هنا يا مؤمن !

ما إن دخل مؤمن حتى سكتت جميع الأصوات ! وسكت مؤمن ! نظرنا إلى بعضنا في ذهول , ماذا فعل مؤمن ! هل مازال هناك ؟

صاح منفعلًا .

- مفيش حد يا شباب , تعالوا بصوا .

مشينا ثلاثتنا في خوف ناحية المطبخ , بالقرب منه , لن أدخله قطعًا , أريد فقط أن أرى ما حدث , الخلاط اللعين موجود وبداخله أثار برتقال معصور وبجانبه كوب فارغ , جاء صوتي مرتعشًا .

- افتح كدة يا مؤمن نعد البرتقال ؟

فتح مؤمن الثلاجة ومد يده نحو الأكياس في جرأة ثم أردف .

- البرتقال ناقص اتنين , يعني كدة باقي ست قطع .

أغلق مؤمن باب الثلاجة وعلامات القلق تسود وجهه , أخيرًا أظهر قلقه ,

- ايه ده يا جماعة ؟

لم يكن لدينا أية إجابة , بعدها بدأ مؤمن في ترتيب المطبخ , في نفس اليوم وفي نفس الوقت ونفس اللحظات , كيف يفعل هذا؟ , لم ولن أفكر في جرأة مؤمن في هذه الأمور , هل يستطيع إنسان طبيعي مهما

بلغت قوة أعصابه أن يفعل ما يفعله مؤمن؟ لعلي أبالغ بعض الشيء .

كنت أعجز عن فهم ما يحدث , ولماذا تحديدًا في شهر الامتحانات ؟ لا أريد الرسوب وسوف أحارب من اجل هذا الهدف , ولكن ماذا أفعل الآن ؟ أراني أقف هزيلًا وحيدًا متعبًا رغم تواجد الشباب حولي , أفتقد أهلي بشدة ولا أريد إخبار احد منهم , لا أريدهم ان يعيشوا لحظات قلق ولو حتى من أجلي , يمر الشريط السينمائي الكريه مرة أخرى امامي , لا أريد أن أراه , فجأة تحولت مشاعري المتوترة إلى نمر او أسد يريد أن يفترس ما أمامه , حتى لو كان غير مرئي , تجمعنا في غرفة عمر ولا يزال مؤمن ينظف المطبخ , فسألتهم .

- ها ؟ حاسين بإيه ؟ كنتوا مش مصدقين , حتى في المستشفى مكنتوش مصدقين , اشمعنا انا الوحيد اللي شايل الهم ؟ قولتلكم على موضوع فرعون , العطسة , والراجل اللي ظهرلي ومحدش إهتم .

نفى نور .

- والله ما أعرف موضوع العطسة ده !

سردت له ما حدث , أبدى اندهاشًا غير مصطنع وقال .

- كل ده حصل من ساعة ما روحنا للراجل ده .

رد عمر .

- حسبي الله ونعمى الوكيل في كل اللي زيه .

جاء مؤمن سامعًا سيرته معترضًا.

- على فكرة الشيخ قالي لو حصلت حاجة تاني نكلمه .

جاء الرفض من الجميع .

- لا يا مؤمن كفاية بقى , احنا حصلنا كتير ومش ناقصين .
- الحل دلوقتي يا نور في الشيخ صابر .

أجبته غاضبًا .

- لا , قولنا لا يا مؤمن يعني لا !

لم يرد وتركنا وذهب لغرفته , بدأ الخوف يخيم على أفكارنا ويسيطر على طريقة تفكيرنا , بدءًا من هذه الأيام لم

نستطع أن نتجاهل , ما حدث وما يحدث , وما سوف يحدث بالتأكيد , حاولت أن أتذكر خالد الحقيقي , خالد الآخر الذي يعيش بداخلي , لن استسلم أبدًا , مرت هذه الليلة , دون أحداث مرة أخرى.

أدركت الصباح الباهت أو هكذا كنت أراه , تأرجحت روحي بين اليأس والمقاومة , لكني في هذا الصباح كنت أتعامل مع كل الأمور بيأس , تحولت شخصيتي إلى شخصية أخرى بعيدة عني , فقط أقاوم رغبتي في ترك كل شيء والعودة لقنا , إنها أيام فارقة في السنة الدراسية وربما في عمري كله , قررت أن أتخلص من كل هذه المشاعر السلبية وأستعين بالله على قضاء أموري.

قهوة باردة في الغرفة , القهوة التي تصنعها بالماء والبن والسكر ليست قهوة , ليس إلا شرابًا يساعد أجفانك على عدم الانزلاق إلى الأسفل فقط , القهوة الحقيقية لها طقوس خاصة , أحب تلك اللحظات التي أتأملها في انتظار على نار هادئة إلى أن تقترب من الفوران فأرفعها في عشق , إحساس حُرمت منه , والآن لابد من احتساء هذا الشراب السخيف بدلًا من ذاك المشروب الرائع بينما أستعد للذهاب للجامعة في هذا الوقت المبكر , لابد أن أذاكر وأحاول تحصيل ما فاتني , ذهبت إلى الجامعة شاردًا كالعادة , غير مبالي بتعليقات زملائي , لا أتحدث إلى أحد , فقط إجابات قصيرة غير شافية , لم يعتد زملائي على هذه الشخصية العجيبة , انتهت المحاضرة وخرجت أول طالب من القاعة دون أن أنطق

بكلمة , أسرعت للمنزل وجدت عمر يذاكر , لم أهتم , ذهبت لغرفتي كأني صنم متحرك , بعد قليل جاء عمر يطرق باب غرفتي .

- في ناس عاوزينك برة يا خالد.

خرجت لأرى زملائي بالجامعة , مصطفي .. أرميا وآخرين , مصطفى شاب نعرفه بحسن خلقه وهدوئه وخفة دمه , أرميا من أقرب الزملاء وأكثرهم ودًا لي , جلسوا بغرفة الاستقبال , فذهبت لأستضيفهم , جلست على إحدى الكراسي البلاستيك الموجودة بالقرب من التليفزيون .

- ازيكم يا شباب , عاملين ايه ؟

تحدث أرميا باهتمام وطيبة .

- إحنا جايين مخصوص وراك عشان نعرف مالك ؟
- أبدًا ولا حاجة , بس بقالي فترة بذاكر ومش بنام .

جاء صوت مصطفى معترضًا .

- لا يا خالد , شكلك باين , عينك طالعة لبرة ووشك شكله متغير وصعب , وخاسس جدًا , وبصراحة إحنا قلقانين عليك لينا فترة .

نظر إليه أرميا في تأنيب دون ان ينطق بكلمة , فأردت طمأنتهم .

- متقلقوش , بصراحة عندي مشاكل في البيت بس .
- طب قول يا خالد , احنا اخوات , فضفض .

قالها أرميا بصدق لمس قلبي .

- انشاءالله كل حاجة هتكون كويسة .

ظل أرميا ينظر إلى جدران الشقة وكأنه يتفحصها , يترسم على وجهه علامات غير مريحة , باقي الشباب ينظرون إلى متشككين فيما أقول , أجبت أسئلتهم بجمل قصيرة تفي بالغرض , فأنا لا أريد التحدث أكثر من هذا . أردف أرميا في عفوية .

- انت بس خليك جدع وامشي من الشقة دي .

جاءت جملة أرميا في غير محلها , إنها المرة الأولى التي يزورني بها , ما باله يتفحص الجدران هكذا ؟

- ليه بتقول كدة ؟

تلعثم أرميا وقال .

- يعني , بعيدة ومش حلوة .
- هروح فين يا أرميا ؟ دلوقتي صعب ألاقي شقق تاني تتأجر والامتحانات على الأبواب خلاص .

وقف فجأة وقال في عجلة .

- طيب خد بالك من نفسك يا خالد , يلا يا شباب عشان منتأخرش .

سلمت وذهب الشباب كُل إلى وجهته , كُنت على يقين بأن جلسة نميمة بريئة سوف تنعقد فور خروجهم , وقد كان , فور وصول مصطفى إلى منزله هاتفني .

- ألو
- أيوة يا خالد , إيه يابني مالك ؟
- مفيش يا مصطفي , مرهق بس شوية .
- بقولك إيه , الواد أرميا أول ما خرجنا من عندك قال : يا ساتر إيه الشقة اللي قاعد فيها خالد دي ! شقة كدة تقبض القلب , أنا مش عارف هو قاعد فيها إزاي , طول ما احنا قاعدين خيالات رايحة و جاية .
- يا سلام , وبعدين ؟

- بس ده اللي حصل ! .

انتهت المكالمة بيننا بدون تفسير او تعليق مني او منه , فقط بعض الاسئلة والكثير من (خلي بالك من نفسك) .. حينها قررت للمرة الألف أن أسيطر على خوفي وامحي كلمة (خوف) من قاموسي , على الأقل حتى تنتهي فترة الامتحانات بسلام , لجأت لصنع نفس المشروب الكريه شبيه القهوة في غرفتي كي أذاكر , وبدأت رحلتي مع الملخصات والمراجع والكتب في هذه الليلة .

في هذا المرحلة تحديدًا كانت الصلاة في حد ذاتها عملًا من أصعب ما يكون , ليس على قلبي ولكن ما يسبق الصلاة , الوضوء , كان الوضوء من أصعب الأشياء ,

بعد ما أقرر تبدأ رحلة الشد والجذب , وكأنني أشعر بأن يداي شُلت , وفي بعض الأحيان أقف أمام الحوض وكأن أحدًا يشد يدي لمنعها من أن تدخل تحت الماء , لا يستطيع إكمال وضوئه , رأيته وهو يعافر لكي يرفع رجله أثناء الوضوء , ذهبت إليه لأنني على علم بما يمر به فساعدته , إلى أن قرر أن يتوضأ في البانيو , فيترك المياه تنساب على يداه وأرجله من شدة الألم .

ذهب كل منا إلى غرفته يصلى , كنت أصلي وكأن شيئًا يمسك برقبتي أثناء الركوع والسجود , فلا أتنفس , أرجلي ثقيلة كأنها مثبتة بحديد , لم أهتم وظللت أركع وأسجد في إصرار وتعب شديد , ثم جاء وقت الاستذكار الذي أتمناه حقًا .

***

كانت لنا عادة كُلما احتاج أحدنا شيئًا من الآخر أن يتصل به , فيعرف الأخير أن المتصل ربما يريد شيئًا , فيذهب لغرفته , بدأت أذاكر فرن هاتفي , وكان عمر المتصل , ذهبت إلى غرفته فوجدته يتحدث في هاتفه المحمول ! سألته .

- ايه يا عمر عايز ايه ؟

قطع مكالمته لثوان .

- ايه يا خالد في ايه ؟
- رنيت عليا !
- لا أنا مرنيتش !

- لأ , انت رنيت عليا حالًا .

- يا خالد أنا بتكلم في الموبايل قدامك , ازاي رنيت عليك ؟

نظرت إلى هاتفي لأتحقق من قواي العقلية , برغم تأكدي من اتصاله بي , فلم أجد إسمه في سجل المكالمات التي لم يرد عليها ! بدأت اتشكك في نفسي , لكني استعدت ثقتي بنفسي في لحظات وأردفت .

- علي فكرة الموبايلات كمان فيها حاجة .

ضحك عمر قائلًا .

- وايه بقي علاقة العفاريت بالتكنولوجيا ؟

ذهبت إلى غرفتي من جديد , يصاحبني إحساس الرعب الذي اعتدته منذ فترة ليست بعيدة , لكنها تمر مرور السنين , أعتقد غرفتي الأكثر أمانًا من باقي الشقة الملعونة , أو ربما كان عقلي الباطن يطمئنني , وجود شباك بالغرفة يطل على الشارع وسماع أصوات المارة يعطيني احساس مؤقت بالأمان , فتح عمر باب غرفتي بعصبية .

- ها يا زفت عاوز ايه ؟
- في إيه ؟
- رنيت عليا !
- لأ ما رنيتش عليك ! مفيش مكالمات صادرة أهو .

- ذهب عمر ليتحقق من هاتفه , لم يجد إسمي في المكالمات الفائتة , جاء مرة أخرى مذهولًا.
- معقول يكون في حاجة في الموبايلات كمان ؟
- ها ؟ ايه الأخبار دلوقتي ؟ صدقتني ؟
- طب تعالى نشوف الباقيين واخدين جنب مننا ليه ؟

ذهبنا إلى غرفة نور ومؤمن وقصصنا عليهم ما حدث , صاح نور بعفوية .

- ايه ده واحنا كمان !

نظر إليه مؤمن في تهديد .

- وإحنا إيه ؟

تغير وجه نور وهو يقول .

- لا ولا حاجة , بقولكم ايه , انا مش طايق أقعد في الشقة دي , أنا هرجع البلد .

لم أعيرهم أي انتباه وتركتهم متجهًا لغرفتي بينما طوال الليل أستقبل المكالمات الوهمية من عمر , كنت أعلم أنه ليس المُتصل وكنت أرى أن اسمها غير موجود في سجل المكالمات الفائتة وكنت أبكي وأناجي الله أن ينقدنا مما نحن فيه .

جاء صوت أذان الفجر وهدأت جميع المخلوقات , توضأت في الغرفة بزجاجات المياه المعدنية , لم أجرؤ على مغادرة الغرفة , عندما تذهب حيث تشاء وقتما تشاء دون تفكير او خوف , عليك أن تحمد الله على ذلك ,

صليت وجلست أقرأ القرآن , ونسيت معنى كلمة مذاكرة من الأصل , قرأت سورة البقرة كاملة , أوشكت المياه المعدنية على النفاذ ففتحت الباب لأذهب إلى الحمام لأجدد وضوئي , ويبدو أن الباقيين يريدون أن يجددوا وضوئهم كذلك , الجميع يلجأ للخالق , ملامحهم تُعلن أن النوم لم يكن زائرًا , توجد علامات استفهام وأسئلة في عيني , توضأ مؤمن ونور سويًا ثم جاء دوري انا وعمر , تملكتني روح الشجاعة والمقاومة , فطلبت منه أن يبدأ وسأنتظره بالخارج , كنت أشعر بالامان المؤقت عندما نكون على مقربة ببعض , توضأ عمر ثم جاء دوري لينتظرني هو بالخارج فلم نكن نغلق باب الحمام بأي حال من الأحوال !

فتحت الصنبور فوجدت المياه شديدة السخونة حتى انها أحرقت يدي وفجأة تحولت جليد من شدة برودتها ! لم يكن سخان المياه هكذا يومًا , كلما أدخلت يدي تحت المياه الجارية أشعر بيدٍ قوية تشدها بعيد , كنت أصرخ من الألم.

انتبه عمر بالخارج وكأنه شعر بنفس الشيء ثم قال بصوتٍ عالٍ.

- معلش يا خالد , استحمل شوية , وانا كمان حد بيشد رجلي وإيدي جامد !

فجأة انتظمت المياه على درجة حرارة معتدلة وخفت حركة الأيدي والأرجل فتوضأت بخفة , كل شيء طبيعي ! غسلت وجهي بيدي ونظرت للمرآة , من هذا

الذي أراه ؟ ما هذا الإرهاق ؟ ما هذه الهالات السوداء المحيطة بعيني ؟ مرات ومرات أغسل وجهي لعل هذه الهالات ترحل عن وجهي , مرة أخيرة أغسل وجهي بيدي الاثنتين ناشدًا إسترخاء لا أجده , أنظر في المرآة مرة أخرى لأجد خلفي فتاة مرعبة وشعرها ينسال على وجهها ثم رفعت وجهها لأراها , نعم هذه هي الفتاة التي رأيتها في الغرفة منذ فترة ! لم أصدق ما أرى , اتسعت عيناي عن أخرهما حتى أوشكت على الانفجار , أغمضت عيني وغسلت وجهي ثم نظرت للمرآة , فلم أجد شيئًا , غسلت وجهي مرة أخيرة فوجمت

.

الفتاة تقترب مني بهدوء وعلى وجهها علامات الغضب , ومع اقترابها الشديد مني بدأت تتحول ملامحها إلى رجل , مفتول العضلات , مصاب بقوة في مقدمة رأسه , يرتدي ملابس فرعونية , ويقترب أكثر حتى أمسك برأسي من الخلف ودفعني ناحية المرآة التي تهشمت وكُسرت لقطع صغيرة نتيجة ارتطامي بها وسقطت فاقدًا للوعي غارقًا في دمي .

- خالد ؟ يا خالد قوم !

عدت لوعيي مرة أخرى فوجدت عمر يوقظني وأنا ساقط على أرضية الحمام بدأت أنظر يميني ويساري ولا أثار للدماء التي رأيتها منذ قليل , قلت في رعب وخوف .

- فرعون يا عمر ! فرعون خبطني في المراية واتكسرت .
- فوق يا خالد المراية سليمة قدامك أهو , قوم واستعيذ بالله من اللي عمل فيك كدة وخلاك تتوهم .

نظرت للمرآة فوجدتها بالفعل سليمة بلا أي خدش , أستعذت بالله من الشيطان الرجيم وخرت من الحمام متجهًا لغرفتي وقررت أنني ساكمل وضوئي بعد ذلك بزجاجات المياه المعدنية , ولا وضوء مرة أخرى في الحمام .

***

كُنت قد عودت نفسي قبل أن أدخل البيت أن أقرأ آية الكرسي والمعوذتين وبعض الأذكار , يساورني الشك والهموم في كل مرة أدخل فيها الشقة لما لاقيته فيها , وما سوف ألاقيه , ام ستنتهي هذه الخزعبلات قريبًا ؟

أدركت أن الشعور بالأمان نعمة كبيرة لا تقدر بثمن , كان مؤمن متعباً يعاني من هبوط شديد وقد استضفته في غرفتي , سندت رأسه على وسادة وأخذت أسقيه من عصائر , خرجت لغرفة الاستقبال وفتحت التليفزيون , رقم قناة القرآن الكريم أحفظه عن ظهر قلب , استمعت لأول آيتين من سورة (ياسين) واتجهت مرة أخرى لغرفتي , أتوضأ فيها كالعادة , أنهيت صلاتي بصعوبة بعد الشد والخنق الذي كنت أشعر به

كلما سجدت وركعت وذهبت لأنام , تأكدت أن مؤمن غلبه النوم فبدأت أغمض عيني استعدادًا لنوم غير مُحتمل , هنا دق عمر على الباب .

- مش فاتح قرآن ليه في الصالة ؟

قمت من مكاني بفزع , فعرف عمر جوابي على الفور .

- انا كنت فاتحه ! هو قفل ؟ قفل يا عمر ؟
- خلاص خلاص وطي صوتك عشان مؤمن ميصحاش .

وكالعادة أخفق النوم في العثور على جفون يُلاقيها , اخذ التوتر يزيد من حدته معي , أخذت أردد الاستغفار ويبدو أن صوتي كان عاليًا فأيقظ مؤمن .

- مالك يا خالد ؟

- القرآن اللي برة طفى لوحده .

قام وسند ظهره على الوسادة وارتسمت على وجهه ملامح القلق .

- يا شيخه انت مش عارف التليفزيون بتاعنا يعني ؟ ده صيني متخافش كده .

لم أعلق على ما قاله وأراد عقلي أن يصدق ما يقوله مؤمن , كما أحسست بالذنب تجاهه وهو المريض الذي لا يقوى على الكلام , أعطيته ملامح الموافقة فرجع مرة أخرى إلى وضعية النوم .

وضعت خاتمي الذي أرتديه دائمًا بجانبي على الكومود ورحت في سباتٍ عميق , ليلتها لم يفارقني وجه صابر الدجال أبدًا ولكني تغلبت على مخاوفي ونمت .

***

وجدت عمر نائمًا عند أرجل مؤمن , يبدو أن الخوف كان يتملكه هو الآخر فخاف أن ينام وحيدًا , قُمت لأتفقد الصندوق , نظرت له وتحسسته كأنني أراه للمرة الأولى , جلبت ملاءة من دولابي وغطيته حرصًا على قيمته , او خوفًا من بطشه , لا أعلم .

دق جرس الباب فأسرعت إليه , فتحته فوجدت نور أمامي , دخل مُحملًا بنظرة برود غير مُحتملة , يحمل في يديه شنطة بلاستيكية تفوح منها رائحة طعام شهي .

- إزيكم يا جماعة , عاملين ايه ؟ والله ماعرفتش أنام من القلق امبارح .

أجبته في استهزاء .

- لا ما هو واضح .
- والله كنت قلقان جدًا , بس انت عارف اني مقدرش أقعد وحدي في الشقة .
- واكتشفت دلوقتي انك متقدرش تقعد فيها لوحدك ؟

نظر إلى دون أن يجيب على سؤالي , ثم دخل ليرى مؤمن وعمر وصاح بصوت عالٍ .

- يلا يا رجالة , جيبتلكم فول وطعمية .

استيقظ مؤمن وعمر على صوته , كان جسد مؤمن المريض يحتاج أن يتغذى بشدة , قام مؤمن من مكانه وأسنده عمر على وسادة , أفسح نور مساحة على السرير ليضع الإفطار لنأكل جميعًا , اخذ مؤمن يأكل ويعاتب نور بنظراته , لم يهتم عمر بما يحدث واخذ يأكل بنهم , بينما أفرغتشدة غيظي في الأكل , امضغ الطعام وأنظر لنور في غيظ غير مستتر , بينما أنهي طعامي ومع أخر قضمة , تنبهت أني أرى شيئًا في يدي , تسمرت يدي للحظة وقررت أن أنظر ما هذا فوجدته خاتمي ! الخاتم الذي وضعته على الكومود ليلة أمس قبل أن أنام أرتديه في يدي الأن دون أن ألمسه أو أتظر إليه مرة واحدة ! نظرت للشباب في صمت وترقب , لاحظني عمر فسأل .

- في ايه يا خالد ؟
- لا لا لا , أنا مش قادر أعيش هنا , مش هقدر كدة , الخاتم انا قالعه امبارح وحاطه على الكومود , ايه اللي جابه في ايدي ؟ ايه ده حد يفهمني ؟

فقدت أعصابي وأمسكت بالخاتم وألقيته بغضب بعيدًا , أمسكت هاتفي وبدأت أبحث عن رقم صاحب وصلة الدش .

- ألو , حضرتك بتاع الوصلات والدش , إحنا من فترة قولنالك تركبلنا وصلة و ....
- فاكرك يا أستاذ , خير ؟
- ممكن تيجي هنا عشان تظبطلنا وصلة الدش ؟

- بس انا مغيرتش قنوات ولا أي حاجة !
- لا ما هي كل القنوات شغالة ما عدا قنوات القرآن .
- حاضر يا أستاذ , مسافة اللسكة وأكون عندك .

ثم أغلق المكالمة ونهضت لأنتظره بشدة في الخارج , لم يتأخر كثيرًا فسمعنا صوت جرس الباب فنهضت لأفتحه .

- اتفضل .

أمسك بالريموت وبدأ يُقلب في القنوات وبدا على وجهه نظرة غريبة .

- قنوات القرآن شغالة أهي يا أستاذ !

- طيب خلاص لو حصلت حاجة تاني هنكلمك .

نظر لي نظرة غضب ونهض ورحل وأغلقت الباب وراءه , بينما جلست في غرفة الاستقبال في عصبية وترقُب شديد , رأيت نور يستند إلى مؤمن متجهين لغرفتهما , دخل عمر إلى غرفته .

لم أبالي بأى منهم , ما يشغلني هو تعاملي مع المرئيين , أترى خوفنا وعجزنا مع الجن يأتي من التخفي ؟ إنه التخفي بلا أدني شك الذي يعطيهم القوة والرهبة , لكن ماذا لو رأيناهم , هل تزول الرغبة ويمحي الخوف ؟

- انت مش رايح الجامعة يا خالد ؟

كان هذا صوت عمر وهو يقف على عتبة غرفته .

أجبته وأنا أنظر للتلفاز .

- هروح , مش قادر أقعد في البيت أكتر من كدة ولما هرجع هِلم شنطتي وهرجع البلد , عاوز تيجي معايا تعالى .

نهضت غير مباليًا بما سيجيب وذهبت إلى غرفتي لأرتدي ملابسي.

مر اليوم ببطءٍ شديد , لم أرى ليلى اليوم وهو ما جعل اليوم يُصبح مملًا أكثر فأكثر , قابلت صديقي معاذ وهو أحد أصدقائي في الدفعة وكان قريبًا مني مثل مصطفى وأرميا , ألقى السلام وبدأ يتحدث معي .

- ليا كتير مشوفتكش يا خالد ! خير ؟ انت كويس ؟
- الحمدلله .
- مال عينك ليه تعبانة كدة ؟ وشكلك مرهق وتعبان جدًا !
- شوية مشاكل كدة وهتخلص يا معاذ صدقني .

لم يصدق أي كلمة أقولها فأكمل.

- بيني وبينك , الشباب كانوا بيتكلموا عليك الفترة اللي فاتت , انت متأكد ان مش الشقة اللي قاعد فيها السبب ؟

نظرت له بغضب .

- لا مش الشقة ومعلش عن إذنك يا معاذ عشان مسافر ووورايا قطر لازم ألحقه .

تركته ورحلت , كنت غاضبًا للغاية , لا أنكر أنني قد توقعت بعض النميمة الخفيفة ولكن ما هذا ! بعد ذلك سأصبح حديث الجامعة بأكملها ! استقللت سيارة أجرة ورحلت للمنزل .

***

بالتأكيد الحظ الآن يعاندني ويقف في وجهي , زحام شديد , موعد القطار قد فات ولا أعلم ماذا سأفعل الآن , هاتفني عمر ليسألني عن سبب تأخيري فأجبته بعصبية شديدة عن الزحام فطلب مني تأجيل السفر حتى الغد , استسلمت للأمر الواقع , سأسافر غدًا , انتهت الزحام

أخيرًا بعد مدة لم أحسبها , وصلت المنزل وكان نور يشاهد التلفاز بينما يجلس مؤمن مرهقًا ولازال سقيمًا , ألقيت السلام فسألني نور .

- انت ماشي بكرة ؟
- اه , مش قادر أستحمل أقعد في الشقة دي أكتر من كدة .

تركتهم ودخلت لغرفتي , كانت الساعة قد وصلت الحادية عشر مساء , تركت باب الغرفة مُواربًا وأغلقت نورها , بينما كان نور غرفة الاستقبال ضاربًا أشعة في غرفتي , سمعت قبلها نور ومؤمن يدخلون غرفتهم وفتحوا التلفاز على القرآن , بعدها بدقائق كنت أسمع القرآن يُفتح ويُغلق في التليفزيون من تلقاء نفسه , وكأن أحدًا

يستفزني أو يفتعل مشاجرة , أو يُعلن عن وجوده , فأريني ماذا انت بفاعل , افتعلت البرود حتى يمل , لكنه لم يمل .

فتحت نور الغرفة من جديد وأحضرت شنطة صغيرة وضعت فيها فيها بعض الملابس الثقيلة فغدًا سوف أسافر قنا لا محالة , أغلقت نور غرفتي مرة ثانية وفتحت شباك غرفتي كي أشعر بونس الشارع رغم هدوئه إلا من عابر أو اثنين كل دقائق معدودة .

وفجأة توقف صوت القرآن تمامًا وسمعت صوت المطبخ المُعتاد , أحد ما يبحث عن أدوات المطبخ في صوتٍ عالٍ , صوت التلاجة يُفتح , صوت أحد الأكياس , واخيرًا صوت الخلاط المزعج معلنًا وصوله لأذان الجميع ,

هذا الفيلم السخيف لن ينتهي , لكن سوف أنهيه غدًا مع عودتي لقنا .

تمددت على سريري على الضوء الخافت القادم من الخارج , فرأيت خيالًا أسود يقوم ويتشكل من الأرض إلى أن أصبح رجلًا نحيف وطويل جدًا يقف عند ركن الغرفة , أخذت أفرك عيني فرأيته محددًا بقوة , رأسه تنظر بإتجاه الغرفة ثم إلتفت نحوي لثوانٍ واتجه خارجًا من باب الغرفة الموارب دون فتحه ونفذ منه للخارج , أحسست قلبي قد عجز عن الخفقان وأنني أمر بحالة لا وعي , أو هذيان فهذا الذي أراه مستحيلًا , ثم أقنعت نفسي أنه شيئًا من الهذيان .

بعد دقائق قليلة جاءني صوت شيء مثل العصا يضرب الأرض وصوت خطوات بالخارج منتظمة , بالتأكيد ليس مؤمن , أم ماذا ؟ استجمعت ما تبقي من قوة وخرجت لأرى من مِن الشباب يمشي هكذا ! نور ومؤمن في غرفتهم وعمر بغرفته لازال يتشاجر مع أحد أصدقائه في الهاتف .

دخلت غرفتي وأغلقت بابي , ونظرت من مكان المفتاح , انضم صوت آخر , يبدو أنه كان يطارد الآخر , اقترب ظل نحو غرفتي , صوت ضحكة لامرأة ! ضحكة عالية , وفجأة سكتت الأصوات كلها وأظلم مكان المفتاح , إنهم بالخارج , أمام باب غرفتي مباشرة!

كتمت أنفاسي من شدة الخوف ولم أستطع الوقوف أكثر من هذا ولكن جسدي التصق بالباب , كنت من شدة الرعب من أن أتركه فيدخل أو تدخل وكأن الباب هو المانع وقد رأيت بعيني من نفذ منه منذ قليل ؟ كان حقيقيًا ولم يكن هذيانًا !

تذكرت حديث مؤمن الأخير فرددت بصوت يريد أن يعلو (الله وأكبر .. الله وأكبر) فبدأ صوت الامرأة يذهب بعيدًا وبدأ النور يأتي تدريجيًا من مكان مفتاح باب الغرفة , ثم سمعت صوت الامرأة تتجول بكل حرية في غرفة الاستقبال والمطبخ , تجيء وتذهب كيفما تشاء , ظللت أنظر من مكان المفتاح فلم أستطيع تحديد شكله أو شكلها , فقط خيالات تمر , وصوت الأرجل ,

رجل وامرأة , تارة تقف وتارة يلاحقها الرجل , صوت ضحكات عالٍ وخافت , مرت الدقائق كالسنوات ثم اقترب الصوت مرة ثانية , واختفى النور تدريجياً إلى ان وقف أمام باب الغرفة مرة أخرى , فتذكرت مؤمن وكيف أن آية الكرسي تحرقهم , بدأت أقرأها بصوت عالٍ .

(بسم الله الرحمن الرحيم .. الله .. الله .. الله) ماذا حدث لي ؟ لقد نسيتها ! كيف أنساها ؟ (بسم الله الرحمن الرحيم .. الله لا إله ..الله .. الله) لا أستطيع أن أتذكرها ! يعلو صوت الضحكات , ماذا أفعل الأن (الله أكبر .. الله أكبر) تجري المرأة مسرعةً للخارج ويأتيني النور وتسكت الضحكات , أصمت فيأتيني

الصوت والظل تدريجيًا مقتربًا . (الله أكبر .. الله أكبر) , فيجري الصوت مرة أخرى مبتعدًا , ثم اقترب مرة أخرى الصوت وهب هواء بارد فجأة نحو الباب كأنه يدفعه ! عندها عرفت اني هالك لا محالة .

تذكرت حديث مؤمن للمرة الثالثة (لو حد طلعلك ناديني) كان الهاتف قريب مني لحسن حظي فأخذته , بينما أقلب في الأرقام اتاني الصوت مسرعًا هذه المرة فرددت الشهادة في تلعثم وهكذا كلما أفكر في الاتصال بمؤمن يأتي الصوت سريعًا .

اتصلت بعمر أخيرًا .

- ألو .. عمر .. تعالى بسرعة بسرعة .

لم أعطه فرصة للرد , أغلقت الخط وأنا أردد الشهادة في تلعثم , جاء إلى عمر وقد غطى وجهه الغضب , أتى عمر في أقل من دقيقتين وكان من الواضح أنه لم يمر بما أمر به الآن .

- عمر .. شكلهم جايين عندي الأوضة .
- إيه ؟ ايين عندك الأوضة ؟ انت عامل كدة ليه ؟
- مش هحكيلك , اسمع انت بنفسك .

مرت ربع ساعة دون أن يأتي أحدًا , لكن صوت خطوت المرأة والضحكات بدأت تعلو مرة أخرى من جديد , بدأ عمر بترديد (يا ساتر يارب .. يا ساتر يارب) , كان وجهي يغطيه عرقًا يكفي لملأ غرفة

بأكملها , حاولت جاهدًا أن أقرأ آية الكرسي لكن حالتي كانت في تدهور مستمر .

- اسمها إيه يا عمر الآية اللي كنت بقراها ؟ إسمها إيه بسرعة ؟

لم يجيبني فقد كان منشغلًا بترديد (يا ساتر يارب .. الله وأكبر) وفجأة وأنا أحدثه رأيتني أرتدي الخاتم الذي ألقيته بعيدًا ولم أجده بعدها , شعرت اني إعتدت بعض الأمور التي كنت أخافها سابقًا , ربما فقدت شيئًا من الخوف , فقدت جزء من إحساسي وربما عقلي , نظرت للخاتم وقلت في هيستيريا .

- أهلًا أهلًا , شرفت , كنت هشيل همك لو مشيت ونسيتك .

علق عمر في تعجب .

- بس يا ظريف مش وقتك خالص .

كان عمر يقف ملتصقًا بالباب مثلي تمامًا ينصت تارة وينظر من مكان مفتاح الباب مرة أخرى , لكن وجوده بجانبي أعطاني شيئًا من الطمأنينة , ينصت مرة أخرى ثم زفر نفسًا عميق .

- بقولك إيه .
- إيه ؟
- الصوت راح .

***

(7)

عودة الحياة

لا أعرف كم من الوقت مضى ليلتها ليأتي الصباح , فقط استمررت بالدعاء (يارب طلع نورك .. يارب طلع الصبح) إلى أن جائني صوت أذان الفجر عذبًا شافيًا , لكن ما زلت لا أجرؤ على الخروج في هذه العتمة لا أن أنتظر النور , عندما وجدت نور يحمل حقيبته , وعمر يحضر باقي الأشياء المهمة التي سوف يأخذها هو الأخر , سبقت كلمات نور .

- أنا هروح عند قرايبي

عقب مؤمن بملامح تكسوها الهزال والإرهاق .

- أنا كمان هروح عشان محتاج راحة وغذا .

ارتديت ملابسي في عجلة بعد أن رتبت الصندوق الخشبي بما فيه وما استطعت أن أحمله من حاجياتي بجانب باب الشقة , وذهبت أخيرًا إلى موقف تجتمع فيه أصناف السيارات الأجرة فلن أحتمل أن أنتظر ميعاد القطار , لا أحبذ ركوب الميكروباص العادي لما أراه من حوادث يومية على الطريق , سوف أبحث عن سيارة أجرة مخصوص تقلني انا وعمر للقاهرة لكثرة ما نحمله من أمتعة لكني لم أجد بعد عدة محاولات .

قررنا قرار أخير , الذهاب للمحطة , كانت وصلت للساعة الحادية عشر صباحًا , وصلنا وانتظرنا بضعة ساعات حتى وصل القطار .

ركبنا القطار أخيرًا وتعاهدنا أننا لن نخبر أهلنا بما حدث , وسوف نذهب سويًا لشيخ نعرفه من قنا موثوق به .

***

وصلت البيت في المساء , كانت جدتي تلازم أمي في فترة الحداد على أبي في هذه الأثناء , فتحت جدتي الباب , دققت النظر لتعرف من الطارق , استبينت حفيدها ففزعت , من نظرتها أدركت أنني قد تبدلت , فلم أعد أذكر على أي شكل كنت قبل ذلك , فقدت عشر كيلو جرامات في عشر أيام فقط ! وجهي مصبوغ باللون الأصفر والأسود معًا , لم أستحم منذ أن إحتدت الأحداث بالشقة , لم أكن أجرؤ أن أفعلها , عيناي

زائغتان شاردتان طوال الوقت , لم أكن أعير أي شيء أي انتباه .

نظرت جدتي في لهفة وقالت بلهجة صعيدية أصيلة .

- إيه يا واد يا خالد مالك ؟ وإيه اللي جابك دلوقتي ؟ وإيه الصندوق اللي شايله ده ؟

لم أجيب تساؤلاتها , كنت في شدة الإرهاق وما أحتاجه حقًا الآن هو النوم , استيقظت أمي وفارس على صوتها , ألقيت سلامًا باردًا ونظر إلى فارس وكأنه يتفحص شخصًا غريبًا عنه ثم أردف .

- شكلك ...

- خاسس مش كدة ؟

- بصراحة شكلك زي ...

وصلت بيتي أخيرًا ووصل القلق إليهم , لم ينامو ليلتها , يأتيني صوت جدتي وهي تحث أمي على معرفة ما لحق بي من ضرر , انها على يقين أنني أصابني مكروه ما , ظلت تردد ما تقوله لأمي .

- قومي شوفي ولدِك , الواد مش عاجبني .

بعد أن تأملت غرفتي التي اشتقت لها كثيرًا , دخلت أمي فجأة وأنا أبدل ملابسي فشهقت وصرخت .

- إيه يا واد الخرابيش والكدمات اللي مالية جسمك دي ؟ كأنك مضروب علقة ! وإيه جابك دلوقتي ؟ وشكلك عامل ليه كدة ؟

نظرت إليها في برود من شدة الإرهاق .

- مفيش !

استفذ برود أعصابي أمي فصفعتني على وجهي ودفعتني للخلف في غيظ .

- انطق ! انت هتفضل طول عمرك كدة مجنني !

كان فارس يعض على أصابعه في خوف وينظر لي , ولأول أحسست أن خوفه مني أنا , تركتني أمي وذهبت لجدتي , فعاد صوتها يُكرر الكلمات على أمي .

- شوفتي ولدك ؟ إيه ياربي اللي بيحصلنا ده ؟

رغم صعوبة الأيام وما مررت به , إلا أنني كنت في سعادة غامرة هذه الليلة , أحسست بالأمان يغمرني

وسط أهلي وبين أحضان جدران بيتي , ها أنا أدخل الحمام لأستحم أخيرًا , لكن ما هذه الكدمات التي رأتها أمي ؟ نظرت في المرآة وتأملت جسدي , أرى الكثير من الجروح والكدمات الحديثة وأثار جرح الخنجر في صدري , وكأنني ضُربت بسوط لأيام متتالية , متي حدث لي هذا ؟ لم أرى هذه الكدمات والجروح على جسدي بما أنني لم أستحم منذ أيام , لكِ كل العذر يا أمي , ولها كل الحق في قلقها فقد تفاجأت أنا مثلها تمامًا , انتهيت من الاستحمام في ساعة , وقفت تحت المياه وأغمضيت عيني في سلام .

لا أصدق يقينًا أنني الآن في بيتي , لعلي أحلم ؟ سوف نرى , فقط ليتهم يكفوا عن الأسئلة الليلة , أريد أن أنام

, أريد أن أغلق عينى دون قلق , هل هذا الأمر بالعسير؟ أخذتني نفسي بعيدًا متسائلة : (ياه .. أخيرًا أنا في بيتنا ؟ لا هييجي صوت الست ولا الصور هتتقلب ولا صور هتترسم , وناس تتقلب ناس تانية , ولا الخاتم هييجي في إيدي ولا صوت الخلاط يشتغل , الحمدلله , دي أول خطوات التخلص من الأذى لز كان العيب فيا , أو حتى لو كنت اتلبست او ممسوس , البيت آمن وأنا جنب أهلي اللي ميعرفوش حاجة غير ربنا .)

خرجت من الغرفة فوجدت أمي تحاصر فارس بأسئلتها في حين تردد الأخير (والله يا ماما ماعرفش !) أمسكت أمي بهاتفها المحمول بعدها .

- ألو أيوة يا عمر ؟ هو أنا مش هعرف ابني ؟

صرخت غاضبًا .

- إيه يا ماما بتكلمي الناس ليه ؟ عايزة تفضحيني ؟ في إيه ؟ مالي يعني ؟ لو سمحتوا إطلعوا برة عشان عاوز أنام وتعبان مش فاضي للحوارات دي .
- مفيش نوم إلا لما تقولي مالك خاسس كدة ليه وإيه اللي في جسمك ده ؟
- مفيش يا ماما .

لم تقتنع أمي , نظرت في غضب وقلق وخرجت , كان فارس ثابت على نظرة الخوف المتفجرة منه , كان ما يشغلني وقتها هو شعوري بالأمان فقط , أريد أن أنام , نظرت إلى غرفتي وبيتي وكأنني في حلم , أخيرًا تكلم فارس ولكن بصوت ضعيف خافت .

- هو انت شكلك عامل كدة ليه ؟

نظرت إلى لإحدى المرايا المعلقة في الدولاب , فوجدت وجه يشبه الوجه الآدمي لونه أصفر , يغطي عيناي الجاحظتان من جميع الاتجاهات هالات سوداء , عينين فيهم من الغموض المُرعب ما يكفي لإثارة شكوك فارس وأمي وجدتي وأي انسان يراني , أضف إلى ذلك آثار الضرب والخرابيش المتناثرة بقوة وكثرة على جسدي , جزعت من شكلي , لكني تجاوزت الامر من أجل ساعات نوم أتمناها بقوة .

استجديت النوم بعض أن أطفأ فارس نور الأباجورة لكني لم أستطيع , استمر عقلي يسألني (هو ممكن أكون

أنا السبب غني أجيبلهم الحاجات دي البيت ؟)
جفلت عيني لدقائق فأتاني صوت جدتي عاليًا .

- قومي يا بنتي شوفي إبنك , إنتِ هتنامي وتسيبيه كدة , إنتِ مسمعتيش كلامي من الاول , ليه يتغرب ؟ حد يسيب التعليم الخاص ويروح تعليم الحكومة ؟

كان حديث جدتي وأمي التي كان صوتها منخفضًا بحق يدور حول شكهم أن ما حدث لي بسبب شيء كبير ! أردت أن أسرد لهم قصتي , آلام لا تتوقعونها ولا تحسبون لها حسابات , وأخيرًا علا صوت أمي باكيًا .

- يعني أعمل إيه بس يا ماما ؟

- قومي جيبي ولدك هنا ويحكيلنا ماله , تلاقيه إتخانق خناقة كبيرة ومش عاوز يقولنا ولا عمل مصيبة , خايفة يكون بيشرب مخدرات .
- استرها يارب .. استرها يارب

(استرها يارب) كانت آخر ما سمعته في هذه الليلة , وقدر لي أن أنام من الوقت عددًا من الساعات , قليلة كانت أو كثيرة , لا أبالي , المهم أنني أستعيد إحساسي بالأمان مرة أخرى الآن , أحمد الله اللطيف بعباده .

***

الساعة الثامنة صباح يوم جديد , قام فارس يصلي قبل أن يذهب لعمله , جائت أمي وجدتي وقاموا بفتح النور

وشباك الغرفة سويًا وأخذوا في إفاقتي بالقوة , تظاهرت بالنوم ولكن باءت محاولاتي بالفشل .

استيقظت فوجدت جدتي تجلس مستندة على عصاها في آخر السرير وأمي بجانبي صائحة .

- قوم إصحى قول مالك ؟
- ماليش .
- انطق قول يا خالد .
- ماليش .

نغزتني جدتي بالعصا بغيظ وصاحت هي الأخرى .

- إنطق يا خالد قول قامت قيامتك .

فاض بفارس فأتى إلينا .

- ما تقول يا خالد بقى .. ساكت ليه ؟

كنت أحترم وعدي لعمر ونحن في طريق عودتنا بعد التحدث بأي شيء , لكني استسلمت لإلحاح أمي وجدتي , وتحفيز شقيقي للإفصاح , فبدأت أقص عليهم ما حدث , أحداث ليست متتابعة , إنما شيئًا وشيئًا من هنا من الذاكرة المتاحة , لم أكن أجرؤ على ذكر ذهابي إلى (صابر الدجال) لكني ذكرت إنقطاعي عن الصلاة والذكر وقراءة القرآن , تبدلت ملامح أمي تمامًا , ما تعرفه الآن أخطر مما تظن , تجمد وجه أمي على ملامح اللا شيء وعيناها مفتوحتان على آخرها , تنهمر \موعها في صمت كأنها شلال لا ينقطع , بينما خلعت جدتي نظارتها من فوق أعينها وتركت عصاها جانبًا وأخذت

تنظر لي في ذهول , ما إن انتهيت من حديثي حتى جذبتني جدتي من ذراعي بقوة تجاه الحمام .

- اتوضى يا خالد , اتوضى .

دخلنا الحمام سويًا , فتحت جدتي النور , ثم فتحت صنبور المياه وأخذت تمسح بيديها في كل مكان في جسدي بالماء في كل ركن من أركان الوضوء وهي تسمي , إلى أن حان آخر أركان الوضوء الخاص بالأرجل , فأحسست أن جسدي يستقر فوق جبلين لا يطيعان إرادتي , راودتني ذكرياتي مع الوضوء في المنزل فبكيت بصوتٍ عالٍ , أجزم أنه أفزع أمي التي لازالت تبكي في الخارج .

- مش قادر , رجلي مربوطين بحديد يا تيتة .

- استعيذ بالله وارفع رجلك يابني , دول ماسكينك

قاومت لأرفع رجلي الثانية , نظرت إلى أمي التي كانت واقفة تبكي في صمت وذهول , كأنها تحضر فيلم كئيب , جلست جدتي وأمي على لسرير مهمومين , أقمت الصلاة , انتهيت من الصلاة وسلمت , التفت إليهم فوجدت الرعب والدهشة فد ملأت وجوههم رعب وفزع !

ظلوا هكذا ذاهلين محدقين في وجهي , بحركة تلقائية لطمت على وجهها وهي تتفحص وجهي , بينما شعرت بأن جدتي خائفة من شيء في وجهي , استدرت ونظرت للمرآة , وجدت دماء تغطي وجهي كله!

دماء ذات رائحة نتنة , لم أصدق ما أرى , أخذت مناديل ورقية وأخذت أمسحه حتى أتمكن من رؤية

وجهي , وأحدد الاتجاه الذي يأتي منه ؟ بقيت أزيله في جنون حتى أعرف مصدره , ربما نزيف من أنفي , لكن اذا كان كذلك كيف وصلت إلى جبهتي وجميع وجهي ؟ كيف سالت هذه الكمية الغزيرة , وما هذه الرائحة الكريهة , نظرت لسجادة الصلاة فلم أجد بقعة واحدة من الدماء , اذن فقد جاء في لحظات التسليم من الصلاة , هل هذا معقول ! صرخت أمي .

- قوم بسرعة اغسل النجاسة دي , ريحته وحشة .

أمسكت جدتي بهاتفها حينها .

- ألو , ايوة يا شيخ , تعالى الحقني , تعالى إلحق ابن بت أختك , راكبه الجماعة , أيوة لابسينه , لا لا

مش بليل , تعالى دلوقتي , ده بينزل دم وتقيل على الصلاة .

أنهت المكالمة مع الشيخ ثم نظرت لنا تطمئننا .

- خلاص الشيخ جاي دلوقتي .

حاولت أمي الاتصال بعمر فلم يجيبها , فاتصلت بأخواتها الأكبر (منى) و (سارة) وقصت عليهم كل شيء .

تأخر الشيخ كثيرًا على موعده , فاتصلت به جدتي كثيرًا تحثه على أن يُعجل , ثم أدارت جهاز الكاسيت لنستمع إلى سورة البقرة , أحسست بكهرباء تسري في أذني وجسدي عند بدأ التلاوة , تؤلمني بشدة , سددت أذني في ظل مراقبة جدتي , صرخت فيهم .

- وطوا الصوت ده شوية !
- أهو اللي راكبك ده هو اللي مش عاوزك تسمعه ولا تصلي , قاومه يا خالد .. قاومه .

كنت ممدد على فراشي , تجلس جدتي بجانبي ممسكة بيدي طوال الوقت , تقرأ القرآن , للمرة الأولى في حياتي لا أريد سماع القرآن , من شدة ألم الكهرباء التي أحسستها في أذني وفي رأسي ! أبدًا لم أصدق هذه القصص من قبل , لم أفهم معنى لها , والآن أختبرها بنفسي , تولت جدتي مهمة وضوئي عند كل صلاة , بعد أن انتهيت من صلاة المغرب مباشرة رن جرس الباب , فتحت أمي الباب ورحبت بالشيخ , ثم اتصلت بمنى

وسارة للمجيء مصطحبين عمر معهم , بعد دقائق حضر الجميع , جلسوا جميعًا في صالة الاستقبال .

جلس الشيخ في المنتصف نحوطه نحن من كل الجوانب , جلست أمي أمامه بنفس حالة الصباح ذاهلة دامعة صامتة , كنت أنظر إلى الجميع وأتجاوزها كي لا أزيد إحساسي بالذنب , منى وجدتي وأنا نجلس في صف واحد , وسارة على كرسي منفصل , بينما كان عمر يجلس على يسار الشيخ , فكرت أن أبعث برسالة له كي لا يبوح بقصة صابر ولا أي شيء يتعلق به , نظرت إلى يديه فوجدته لا يحمل الهاتف فوجمت , لم يتحرك فارس من غرفته , قطع صوت أمي الصمت .

- أهلًا يا شيخ .. دول بقي ...

قاطعها الشيخ .

- ثواني .

بدأ في قراءة سورة البقرة حتى انتهي من الجزء الأول منها ثم نظر إلينا في عطف صادق .

- مالكم يا بابا ؟

أرادت أمي أن تتحدث نيابة عنا فقاطعها برقة وأشار لي.

- خليهم هما يتكلموا .

بدأت أقص عليه القصة بإيجاز شديد , فإذا بوجه صابر يطل من كل صورة فوق الشيخ , وبدا لي أنني سرحت وهو ما أزعج الشيخ , سألني في حزم .

- هو ده بس اللي حصل ؟

- آه ..

قد ملأني احساس بالذنب يحثني على الاعتراف بما فعلته , حتى أشفى تمامًا واحساس آخر خائف لا يريد أن يزيد من حزن أمي , أخذا يتصارعان وأنا أنظر للنتيجة .

- متأكد , مفيش حاجة تاني عملتوها ؟

نظرت إليه متوقعًا عواقب انتصار إحساسي بالذنب , لقد أغضبت رب العالمين بلجوئي لساحر مشعوذ , وسفري دون علم أهلي , نعم لقد أخطأت ولابد أن أتطهر الآن وأصلح ما أفسدته , فاعترفت باكيًا .

- لأ مش هو ده اللي حصل بالظبط .

كان بكاء الخلاص كما أحسسته , بكاء غير متقطع , والجميع يرمقونني في تعجب وذهول , أكملت حديثي .

- بصراحة .. إحنا بعد اللي حصل ده , واحد معانا قال نروح لواحد إسمه صابر .

ثم قصصت جميع الأحداث التي حاولت إخفائها , في ظل هدوء ما قبل العاصفة , انتابت أمي الغضب والدهشة .

- كده يا خالد ! تروح لدجالين ؟

هنا هاجت كل من منى وسارة يؤنبانني أنا وعمر , الذي لازمه الصمت من أول الجلسة إلى آخرها .

- لو سمحتم مش كدة , اتفضلوا جوة الأوضة لو سمحتم .

نهض الجميع إلى الغرفة باستثنائي أنا وعمر والشيخ , نظر لنا في رأفة وأكمل .

- قولولي يا شباب , لما الراجل صابر ده بدأ يقرا حاجات في المطبخ وهو على الموبايل , كان بيقول ايه ؟
- عمر .. فكرني كدة .. أنا مش فاكر بجد !

رفض عمر الحديث تمامًا ولم يجيب , فأردت مساعدته .

- يا عمر .. قولي إيه كان بيحصلك !

نظر إلى عمر في حزن وأصر على صمته , حاول الشيخ حثه على الكلام .

- وانت يا عمر , ايه اللي بيحصلك ؟
- مفيش .
- قصة الساعة من امتى يا خالد ؟
- من شهر وكام يوم كدة , أنا ممكن أجيبلك نمرة صابر ده لو عايز تسأل على حاجة .
- أعوذ بالله مالي أنا وماله !

تسللت أمي وتسائلت في ترقب .

- هما كدة لبسهم الجن ؟

أجابها الشيخ في أسى .

- من اللي بيحكيه خالد , الولاد متبهدلين خالص .

بدأت عيني تدمع ولم أرى أحدًا من دموعي مع أذان العشاء , قام الشيخ ليصلي ثم يُكمل ما بدأناه , ذهبنا إلى الغرفة بالداخل , يحدنا الصمت , بعد أن انتهى نادى علينا وأكمل معنا أو بمعنى أصح معي انا .

- انت عارف يا خالد عملت إيه ؟ انت عارف وإنت قاعد كدة منجس المكان حواليكك ؟ عارف صلواتك مش محسوبة لقد إيه ؟ عارف كدة ولا مش عارف ؟ استغفر ربنا يا بابا استغفر .

بكى قلبي بكاء توبة من كل ما فعلته , خرج عمر عن صمته المدهش وشاركني البكاء , استطرد الشيخ .

- إحنا بنستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وإنت بتروح له برجلك ؟ هو صابر ده إيه غير شيطان من شياطين الانس والعياذ بالله ؟ تعالى أقعد جنبي هنا يا خالد .

كان شيخًا صادقًا وعطوفًا ورئيفًا لأبعد الحدود , سمح الوجه والأخلاق , أزهريًا يسمع ولا يحكم , إنما يرشد بتعاليم الإسلام ولا يقبل نقودًا أو هدايا .

جلست على يمينه وعمر على يساره , قرأ علينا الكثير من الآيات القرآنية , ثم قرأ آيات معينة على رأس كل واحد منا , تلاها بالرقية الشرعية ثم بعض الأدعية , كنت خلالها مغمض العينين أستغفر الله , مر كثير من

الوقت لتصبح الن الحادية عشر مساء , كانت أمي تعامله كطبيب تنتظر منه تشخيص لحالة المريض .

- إيه الكلام يا شيخ ؟
- أنا هجيلكم بكرة تاني .

كان الشيخ مرهقًا بعد أن أنهى جلسته معنا , لكن امي حاصرته بالأسئلة .

- هو عشان كدة خاسس ؟
- أنا قريت عليه مفيش حاجة انشاءالله .

أوضحت سبب نقصان وزني .

- أنا خاسس عشان مكنتش باكل في المطبخ , والأصوات اللي فيه , ولا كنت بقدر أنام من اللي بيحصلي في الشقة .

نظر إلى الشيخ مشفقًا .

- كتر خيرك يابني انا مش عارف كنت قاعد كدة إزاي ؟
- مش عارف يا شيخ , كنت حاسس اني متقيد في المكان !
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

نظر الشيخ إلى أمي متوجسًا .

- أنا تعبت .. هجيلهم بكرة , مفيش نوم يا شباب انهاردة الا لما تصلو الصلوات كلها وتناموا على وضوء وتستغفروا وتقروا سورة (ياسين) (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) ومع كل أذان فجر تقروا أواخر سورة (البقرة) لما تحصل حاجة نلجأ لمين ؟ الله سبحانه وتعالى .
- بس أنا تعبت منهم يا شيخ .
- بعد اللي عملناه انهاردة ومجهودك في الاستغفار والذكر وارد حد يطلعلك منهم , خليك دايمًا في ذكر الله وكلمني لو حاجة جديدة حصلت .

كان الشيخ يوجه كلامه إلى فقط دون عمر وكأنه غير موجود , ربما لأنه لم يتحدث منذ البداية , ثم

لمحت نظرات حزن ويأس عميق في عيني أمي وهي تتحدث مع الشيخ وتوصله إلى الباب , بعدها خرجت منى وسارة وجدتي من الغرفة لينضموا إلينا في قلق , سألت سارة .

- إيه الأخبار يا جماعة ؟

رددت أمي ما قاله الشيخ .

هنا خرجت سارة عن اتزانها وعلى صوتها .

- فين التربية والأدب يا بهوات ؟ أخص عليكم , دي آخرة الأمانة ؟ ولمين ؟ لدجال ؟

لقد أنبت نفسي وعنفتها بما يكفي ولم أكن أستطيع تحمل المزيد فتركتهم جميعًا دون استئذان ودخلت غرفتي لفارس , فوجدته خائفًا .

- قالك ايه ؟
- مفيش حاجة بس لو حصل حاجة أكلمه .

نظر لي ولازال على وجهه الخوف بينما مددت على سريري منتظراً القادم .

***

جلست على سريري وامسكت بالمصحف وبدأت في قراءة سورة ياسين , كانت قرائتي تتسم بالخشوع , كانت جدتي تجئ وتذهب متكأة على عصاها تتحدث لنفسها

وإلى في غضب , ما أجمل هذه السيدة , تعيش من أجل اولادها وأحفادها فقط , تهتم بأدق تفاصيل حياتهم , تخاف عليهم وتحميهم بقدر استطاعتها , أحضرت كرسي ووضعته بجانب سريري وجلست متكأة على عصاها .

- واحد في سنك ماسك ليه موبايلين ؟ وايه لازمة التاب توب ده (تقصد اللاب توب) ؟ نايم طول النهار وصاحي تجمع الصلوات وليلك كله على التاب توب , ربنا قال كدة ؟

كنت أحاول الرجوع إلى القراءة لأني أعرفها جيدًا ستظل تؤنبني طوال الوقت , رجعت إلى القراءة فأخطأت وزدت ألف ولام على الآية , كانت جدتي

تحفظ الكثير من السور عن ظهر قلب , فنغززتني في كتفي بعصاها .

- غلط , غلط , جبت الألف دي منين يواد ؟ طبعًا ما شياطينك هي اللي بتقولك !

أردت وقتها أن أضحك بشدة , لكن إذا فعلتها قد يرجمونني حتى الموت من فرط الغيظ , فتغلبت على هذا الشعور وأظهرت العكس .

- يووووه يا تيتة , سيبيني بقى شوية ؟
- لأ مش هسيبَك , أسيبك ياخدوك مني ؟ والله أبدًا .

نظرت لها في حب وشفقة لما سببته لها هي وأمي ولجميع من في البيت , جاءت أمي مشفقة على أمها فأرادت أن تستريح .

- قومي يا ماما نامي .
- أنا هنام هنا جنبه , أنا مش هخليهم ياخدوه , روحي انتي نامي , كفاية قطمة وسطك عليهم .

أبت جدتي بعد محاولات أمي أن تتركني خوفًا أن يخطفني الجن على حد قولها , كانت الحادية عشر صباحًا , وكانت هذه المرة الأولى حقًا التي أنام فيها مطمئنًا , أشعر بسلام عميق يغمرني رغم كل ما مررت به .

فتحت عيني ورأيت ساعة الحائط تشير عقاربها إلى التاسعة صباحًا ! هل غفوت كل هذه الساعات حقًا !

مرت في سلام كانها دقائق , نظرت جانبي فوجدت جدتي مازالت على هيئتها , تنظر لي بحب متكأة على عصاها ! هل زار النوم هذه السيدة ؟ سألتني بحب .

- حاجة حصلتلَك ؟
- لا يا تيتة الحمدلله , أول مرة أنام متطمن .
- طب تعالى معايا .

ذهبت بي للحمام للوضوء , ولأول مرة تخف حركة الأرجل في الوضوء وتعود إلى نسبة كبيرة من طبيعتها , أحسست بفرحة داخلية ولكني تذكرت الدم الذي نزفته من أنفي والذي انتقل لجميع وجهي , تمنيت من الله ألا أراه مرة أخرى , افترشت السجادة متأهبًا استعدادًا للصلاة في حين جلست جدتي تنتظر هل سأنزف دمًا

مرة أخرى , أنهيت الصلاة والتفت إلى جدتي في خوف وكأني أسألها هل بي شيئًا ؟ فرأيت وجهها البشوش يضحك فعرفت الجواب , أحضرت لي جدتي إفطارًا شهيًا كان كافيًا لفتح شهية أي إنسان , سمعت صوت أمي تتصل بوالدة نور ومؤمن وتقص عليهم ما حدث , توقعت ردة فعلهم لكن لم أعرفها .

احمد الله على وجود جدتي في هذه اللحظات والظروف , دخلت أمي غرفتي وأصدرت تعليمات صارمة .

- إنت سامع طبعًا ؟ أنا قلت لكل الأمهات عشان يبقوا عارفين المصيبة اللي إنتوا فيها , بعد كدة لما تروح تجيب باقي حاجاتك من اسكندرية مش

هتروح وحدك , هيكون معاك أخوات عمر الولاد وأمهات الباقيين .

هنا تذكرت الاسكندرية من جديد والامتحانات التي سأرسب بها بلا شك , سمعت أمي تتكلم في الهاتف مع إحدي أقاربي الموجودين في الاسكندرية , ثم أنهت مكالمتها وجائت لي مرة أخرى .

- انت هتسافر بكرة , فاضل على امتحاناتك أسبوع بس و (مريم) هتشرحلك المنهج ليل نهار عشان تعوض , هتقعد في فندق فترة الامتحانات ومش هتروح البيت ده غير لما تروح تاخد باقي حاجاتك من هناك , سامع ؟

جاء الشيخ مرة ثانية في المساء لتكملة جلسته بحضور نفس المجموعة باستثناء فارس , هذه الجلسة أهدأ بكثير من الأولى , فلم يظهر وجه الشيخ صابر ولم أبكي أنا وعمر , كانت مقتصرة على قراءة القرآن وبعض الأدعية , ثم أعطانا ماء زمزم لنقرأ عليه قرآن ونشربه ونتوضأ به شرط ألا تقع منه قطرات على الأرض , وجود جدتي بجانبي في حد ذاته قمة الأمان كما أنها تدفعني للإلتزام دينياً أكثر من ذي قبل وأحافظ على صلواتي وأذكاري وقراءتي للقرآن .

***

(8)

المحطة الأخيرة

عدنا للاسكندرية , أقمنا في إحدى الفنادق الكبيرة في الاسكندرية التي تطل على البحر , كنا قد اتفقنا مُسبقًا أننا سنستريح ثم سنذهب للشقة لحزم باقي أمتعتنا .

وصلنا الشارع فوجدت سيارته تقف أمام المنزل , وجدنا أناسًا كثيرة يطلون من الشبابيك وبنات من الجامعة يقفن بالخارج , ناظرين إلينا يحدثن بعضهن بريبة , باب العمارة مفتوح وباب الشقة أيضًا ! لم أعرف إلى الآن ما الذي حدث ومن الذي أخبر العم كمال ! قبل أن ادخل هذه الشقة الملعونة تذكرت أن أقرأ آية الكرسي فقرأتها واستعذت بالله من الشيطان الرجيم ودخلنا , رأيت شيخ يرتدي الزي الأزهري ذو العمامة البيضاء والطاقية الحمراء الشهيرة يجلس في منتصف الحضور ,

كانت له هيبة واجلال تستشعرهما عند رؤيته , بمجرد دخولنا الشقة التفت إلينا العم كمال ونظر إلى في غضب شديد .

- أهلًا يا باشا .. مين قالك تفتح الأوضة ؟ أنا قلتلك تفتح الأوضة دي ؟ أنا مش منبه مية ألف مرة بلاش تفتحوا الأوضة دي ؟ تلات أوض مش مكفينكم ؟
- أوضة ؟ أوضة إيه ؟

كنت بالفعل قد نسيت تمامًا فتح الغرفة الرابعة , حدثتني نفسي أن ما نحن به أسوأ , وهذا الرجل المخبول ترك كل شيء وتحدث فقط عن مخالفتي لأوامره !

كان الشيخ الذي رأيناه يقف معنا , نور ووالدته ومؤمن ووالدته والعم كمال جالسين , لم نلق السلام ولم يكلم أحدنا الآخر , كما تبادلت الأمهات والأخوات نظرات الازدراء والاتهام لبعض , كل ولد في نظر أهله بريء , نحن جميعًا أخطئنا ولا نريد تحمل المسئولية أو رؤية عواقب خطئنا , الحمدلله أنني أدرك ذلك , استطرد العم كمال .

- الأوضة اللي انت فتحتها ؟ فتحتها ليه ؟

ألقى نور التهمة بعيدًا عنه .

- هو اللي قال نفتح الأوضة .

صاح العم كمال مكررًا .

- ليه فتحتها ؟ أموت وأفهم فتحتوها ليه وانتوا أربعة بس والشقة تلات أوض !

نظرت إلى نور وسردت إيجازًا .

- الباشا نور بيتكلم كل يوم بليل في التليفون وده عامل ازعاج لمؤمن ومخليه مش عارف ينام , فاقترحت نفتح الأوضة دي ونعملها سنترال عشان نور يتكلم براحته , دي كانت خدمة ليهم أصلًا , أنا كدة كدة في اوضة لوحدي , ثم إنهم كلهم وافقوا وعلى فكرة هما اللي فتحوها مش أنا!

كنت أنظر كل بضعة لحظات لمؤمن , كان سارحًا بشدة وينظر أمامه , بالتحديد ناحية الغرف , لم أعطي

اهتمامًا ونظرت لعم كمال الذي انتابه حالة من الصراخ فينا جميعًا وفي وجهي تحديدًا .

- ليييييييه ؟ تعملوا كدة لييييه ؟
- اهدى يا حاج اهدى
- تبوظولي الدنيا عشان تتكلموا في التليفون , أنا الغلطان من الأول , هموت وأعرف فتحتوها إزاي ؟

أجابه مؤمن بعفوية .

- بالسكينة
- ده انتم عصابة بقى ؟ بصوا يا جماعة قدام أهلكم أهو , أنا مش عايزكم في الشقة دي تاني , أنا سلمتهالكم أمانه وانتوا خربتوهالي جن وعفاريت

وشعوذة , بعد ما يخلص الشيخ قدامكم ساعتين تلموا حاجتكم وتسلموا المفتاح .

***

نزل العم كمال وجلس مكانه بجانب الباب , بينما جلس الشيخ يقرأ بعض الآيات القرآنية ثم انتهى ونظر إلينا .

- كدة كدة لازم تمشوا من الشقة دي .

نظر إليه عم كمال واقتضب حاجبيه , فبادله نفس النظرة بغضب , ينهره صوته مُستخفًا به في استجواب .

- الأوضة اللي جوة دي فيها حاجات كبيرة جدًا صح ؟

لم يرتبك عم كمال واستجمع قواه وتجاهله , واصل الشيخ كلامه ناظراً إلينا جميعًا وأشار إلى عم كمال .

- الراجل ده كان بيحضر فيها أرواح , وفي مشكلة كبيرة حصلت معاه زمان , صح يا حاج ؟

لم ينطق , فتح عينيه في ذهول وكأنه يسترجع ذكريات قديمة , مال الشيخ بجسده إلى الأمام تجاهه ثم رمى هذه القنبلة في وجهنا جميعًا ليسمع ردها , تحاصره نظراته في تحد واستنكار .

- صح كلامي ؟

لم يجيبه بالنفي أو الايجاب , أكمل الشيخ .

- الأوضة دي كان محبوس فيها جن كتير بتعويذة , فلما فتحتوا الاوضة طلعوا في الشقة كلها , يبدو إن الحاج كان بيحاول يحضر روح أحد الصالحين . أستغفر الله العظيم , لما جاتلك المجموعة دي معرفتش تصرفهم , وبالكاد جبت تعويذة قديمة من صابر الساحر تحبسهم كلهم في الأوضة دي .

عندما ذُكر امامي الاسم لم أستطع أن أتذكر إلا صابر الدجال , فأنا لا أعرف صابر غيره , سألت في دهشة واندفاع .

- الشيخ صابر اللي برة البلد ؟

نظرت إلى مؤمن غير مصدقًا , ورأيت الباقي وقد انتابهم نفس حالتي ناظرين إلى لا شيء , نظر الشيخ إلى في غضب واسترسل .

- شيخ ؟ شيخ إيه يابني , ده مشعوذ , أعوذ بالله من الكفر .

نظر إلى عم كمال في حنق .

- عاجبك كدة , منك لله .

تذكرت ما قالته لي ليلى إبنته قفلت كأني نسيت برهان براءتي .

- أنا مش فاهم إيه اللي مضايقك أوي كدة ! إلا لو كان كلام الشيخ صح ؟ وعلى فكرة ليلى بنتك

هي اللي قالت لي افتح الاوضة لو عايز , يعني متصرفتش لوحدي .

التفت إلى عم كمال كأنه قادم من عالم آخر .

- ليلى مين ؟
- ليلى بنتك .

نظر لي نظرة كلها شك وعدم تصديق ووقف وساد الصمت لثواني , مرت كأنها ساعات , ثم بلع ريقه ونطق .

- فوتها فين وامتى ؟

- اتقابلنا صدفة كذا مرة في الجامعة , ومرة هنا في العمارة , وهي اللي قالت عادي لو فتحت الأوضة الرابعة .

ظل ينظر لي في بلاهة لكن اكتشفت الجمع الغفير أيضًا يعيرني نفس النظرة , نظر إلى العم كمال في دهشة .

- ليلى بنتي ماتت !

نظرت له في استخفاف .

- لا حول ولا قوة إلا بالله , يعني عشان متخانق معاها تقولي عليه مات !
- انا بنتي ميتة من 10 سنين !

لم أصدق ما يقول .

- بتقول إيه ؟ أنا قصدي ليلى !

- معنديش غيرها , ماتت من 10 سنين !

أحاطت يداي بأذني , لا أريد ان أسمع .

- بس .. بس متقوليش كدة ! أومال مين اللي كانت بتكلمني وتقابلني حرام عليك !

قام عم كمال ومسكني من ذراعي بقوة وهزني في عنف.

- هي جاتلك ؟ انطق .. جاتلك امتى وفين ؟ ومجاتليش انا ليه ؟ أنا أبوها ! أنا اللي ربيتها وبتمنى أشوفها , تجيلك انت ليه ؟

ثم تذكرت موقفًا سيساعدني , نظرت إلى عمر .

- عمر ؟ فاكر عم فايز ؟
- لأ ؟ مين ده ؟
- يا عمر البياع اللي وصلني لحد ليلى !
- آآه صاحب الدكان اللي على اول الشارع خالص.
- قولهم , هو اللي وصلني ليها الأول والأتنين وصلوني لعندك .

سكت فجأة ثم أكمل في إنكار .

- انت كداب , ومقولتليش ليه ساعتها ؟
- ليلى قالتلي إنها على خلاف معاك , وإنه أحسن أقولك أنا شوفت اليافطة على أول الشارع , اسأل عم فايز !

صاح أحد أقارب عم كمال في دهشة .

- عم فايز مين يا أستاذ ؟

- صاحب المحل الصغير اللي على الشارع برة !

قال عم كمال .

- المحل على طول قافل ؟

أكد عمر .

- فعلًا من ساعة ما جينا والراجل مش بيبان !

تكلم الرجل مرة ثانية في استنكار .

- يبان إزاي وهو ميت يبجي من 15 سنة !

أردت أن أتأكد .

- يا جماعة الراجل حجمه قليل كدة , قصير ورفيع كدة ؟

نظر الشيخ إلى في رأفة ,

- الله يرحمه يابني كنت أعرفه وحضرت جنازته وكانت ليلى بتحبه جدًا الله يرحمهم جميعًا .

نظر الشيخ لعم كمال .

- عملت إيه في ليلى يا عم كمال ؟
- أنا معملتش حاجة , هي انتحرت عشان مكنتش عاوز أجوزها الولد اللي بتحبه , كان مستواه أقل من مستوانا بكتير .

نظر العم كمال في اللا شيء وأردف في هوس واضح .

- المفروض تتجوز واحد من اختياري , واحد مياخودهاش مني .
- وليلى بنتك ماتت إزاي .

اعتدل في جلسته حتى واجهه في غضب .

- ولو أنه مش من حقك تسأل أصلًا , لكن حاضر هقولكم كلكم , هرضى فضولكم اللي هيقتلكم .

في ايقاع سريع انقطع نور الشقة للحظات وسمعنا صوت سكون , ثم عاد النور من جديد , وسط همهمات واستعاذات بالله , اكتشفت أن نور النهار غير قادر على منحك الأمان في تلك اللحظات , بات ليلًا قصيرًا في لحظات .

نظر الشيخ إلى مصادر النور ثم أكمل في صوت يملؤه إيمان .

- كمل أنا سامع .
- في مرة وعدتها إن الجوازة دي مش هتتم , كنت دايمًا بقولها كدة , في يوم سمعت صوتها في الشقة بتصرخ وبتعيط , على بال ما طلعت شوفتها مرمية على الأرض سايحة في دمها , قاطعة شراييها وقاطعة النفس .

عقب الشيخ ليتأكد .

- انتحرت هنا ؟
- أيوة , بس انا واثق إنها عايشة .

سمعنا صوت مؤمن يستأذن للذهاب للحمام وأخذ نور معه لخوفه الشديد من الذهاب وحيدًا .

بدأ أحدهم يتكلم كذلك .

- سلامًا قولًا من رب رحيم , بصراحة يا استاذ كنت فاكرك في الاول تعبان شوية , لأني أول مرة شوفتك هنا كنت واقف بتكلم نفسك , وبعدين لمحتك في مدخل العمارة بتكلم نفسك تاني ! افتكرتك بتكلم المحجة بس مفيش حد كان واقف معاك , قولت اكيد لا مؤاخذة بعافية شوية , مع إنك لسة صغير .

نظر الشيخ لعم كمال وهو يسأله بغضب .

- والصندوق الأثري جيبته منين يا عم كمال ؟ لو متكلمتش هتصل بالبوليس ييجي هنا !
- الصندوق أثري بس مش أنا اللي سرقته , انا اشتريته من واحد معرفهوش ومش من نواحينا , ده كان لزوم تكملة الطقوس .

نظرت له وقولت .

- انت عارف يا عم كمال إن صابر النصاب كان عاوز ياخده مني وأنا مرضيتش ؟
- صابر واخد نسبة لكنه كان وسيط بيني وبين البايع , الحاجة الوحيدة اللي عملتها صح في حياتك , قوم يلا هاته .

أمسكت بالصندوق واحتضنته .

- لا انسى , الصندوق ده هيروح شرطة الآثار خلاص .
- أنا هوديك في داهية لو مرجعش !
- وريني هتعمل إيه ؟

نظر الشيخ إلى .

- الصندوق لازم يرجع يا خالد يابني كامل .
- بس القفل بتاعه مش قاعد ومش عارفو فين !

***

عادت النور مرة أخرى ولكن بدأت جميع الصور المعلقة على الحائط تقع مرة واحدة , وبدأ كم هائل من البخار يخرج من طرقة المنزل وغير معلوم مصدرها , ثم

رأيت رجل طويل , مفتول العضلات يقف وفي يده صولجان وينظر لي بغضب وأمامه فتاة مألوفة لي ! ليلى ! كان يمسك بها ثم طعنها بشيئًا ما من الخلف وإختفى وبدأت أصوات الموجودين في الصراخ عاليًا وبدأوا في الخروج من المنزل هاربين , هل رأوه بالفعل ؟ فرعون ؟ لقد طعن ليلى ! ولكن في لحظة تبدل المشهد , نور مرمياً على الأرض غارقًا في دمائه مقتولًا ! مؤمن يقف وينظر لي بغضب أنا وعمر ويمسك بخنجر ! نعم إنه الخنجر الموجود في الصندوق ! كيف أخذه ؟ كيف خرج الخنجر من الصندوق ! نظر لشخص آخر كان يتواجد معنا ، نعم والد ليلى كان يقف متجمدًا ، خرج صوت ليس بصوت مؤمن أبدًا .

- يوم الحساب جيه ، وانت حسابك كان تقيل جدًا .

ثم في لحظة جري بمؤمن بسرعة خارقة وطعن والد ليلى بالخنجر أكثر من خمس طعنات متتالية حتى سقط أرضًا مفارقًا الحياة ، تجمدت في مكاني بينما بدأ عمر يجري ويهرب تجاه الباب ولكن شيئًا ما أغلقه , أراد عمر أن يفتحه ولكنه لا يفتح , بدأت أصوات الصراخ تعود مرة اخرى بصوتٍ عالٍ , جرى مؤمن بسرعة شديدة على عمر وطعنه عدة طعنات في الصدر والرئة أرداه قتيلًا هو الآخر ! اخيرًا وجدت نفسي اجري تجاه غرفتي وأغلقتها ورائي ! سمعت صوت خطوات مؤمن تقترب من الغرفة , كنت مرتعبًا بشدة , لا أصدق ! لقد قُتل نور وعمر ! من مؤمن ! أخذت بترديد (يارب

ساعدني .. يارب ساعدني) وجدت مؤمن يقاطع كلامي .

- مش قولتلك يا خالد إن فرصتك خلصت ؟ قولتلك مش أنا اللي هقتلك , أهو صاحبك هو اللي هيقتلك .

ثم بدأ يضحك ضحكة عالية ! ثم فتح الباب ودفعه بشدة ومن شدة فتح الباب دفعني للخلف بقوة مصطدمًا بالحائط , بدأ يقترب مني بشدة وهو يوجه الخنجر نحوي , حاولت الاستبسال وأعطيته بعض اللكمات التي أسقطته مؤقتًا , نهضت بسرعة للخارج محاولًا فتح الباب لأجد مؤمن يتحرك بسرعة للغاية ويوجه عدة طعنات كثيرة في ظهري ! رفضت السقوط , لكنه وجه طعنات أكثر لي وبدأت في نزيف الكثير من الدم

والتقاط آخر أنفاسي في هذا العالم ! سقطت وأنا أرى عمر بجانبي يمد يده لي وهو يقول بصوت خافض .

- خالد .. خالد .

كنت ألتقط انفاسي الأخيرة وبدأ صوتًا مزعجًا في الظهور وأخذ يعلو ويعلو .

تووووت تووووت تووووووووت تووووووووت

- خالد ؟ .. خالد ؟

إستيقظت لأجد نفسي بداخل قطار وبجانبي خالد ! يوقظني !

- قوم يا خالد وصلنا اسكندرية , حمدلله على السلامة .

بدأت أستعيد وعيي وأنظر يميني ويساري , كان كابوس! ما هذه الشقة التي حلمت بها ؟ ومن هو فرعون؟ أحمد الله أنه كان كابوسًا , كابوس لا أريد أن يحدث في العالم الواقعي هذا ! نهضت وأمسكت بحقائبي استعدادًا للنزول من القطر , أنا وعمر نستعد أخيرًا لقضاء عامنا الأخير في الجامعة وجئنا من قنا لنبحث عن سكن مناسب لهذه السنة فقط , نزلنا متجهين خارج المحطة ، كنت أنظر يميني ويساري حتى أتبين بوابة الخروج من المحطة واذا بي يصطدم رجل عجوز وهو يمسك بعربة نقل الحقائب وهو يعتذر لي .

- لا مؤاخذة يا بيه ، حمدلله ع السلامة ، نورتوا اسكندرية بلد العجايب .

ابتسمت له ووضعنا أنا وعمر حقائبنا على العربة واتجهنا لبوابة الخروج . نحو مستقبل مشرق مجهول ينتظرنا بكل تأكيد .

تمت ...

***

إلى اللقاء في روايات أخرى ..

مكاريوس عطيتو..